المعرفة طبيعتها ومصادرها وحدودها عند نصير الدين الطوسى

أ.د الصاوى الصاوى أحمد

جمهورية مصر العربية

مقدمة:

تعد إشكالية المعرفة أهم إشكالية تواجه العالم والفيلسوف والباحث المتخصص فى جميع مجالات العلم والمعرفة نظرًا لأن نظرية المعرفة تعد الركيزة التى تدور حولها الرؤى الفلسفية المختلفة ومناهج البحث العلمى (التطبيقى أو النظرى) هذا بإضافة إلى أن أى قضية من قضايا الفكر والفلسفة والعلم أو البحث فى الوجود يقتضيها البحث فى طبيعة المعرفة وإمكانيتها وحدودها ومصادرها، ودرجة اليقين فى كل علم وتكمن الإشكالية هنا فى تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف لدى الفلاسفة والعلماء والباحثين فيما يخص الفرق بين المعرفة والعلم ؟ وما هى موضوعات المعرفة هل موضوعاتها عقلية أم حسية ؟ وما طبيعة المعرفة ؟ هل هى الواقعيه الساذجة أم النقدية أم الميثالية ؟ أم التجريبية ؟ وهل هناك إمكانية لوجود المعرفة اليقينية ؟ وما هى درجات اليقين ؟ وما هى مصادر المعرفة ؟ هل العقل أم الحواس أم الحدس . أم هناك مصادر آخرى ؟ وما هى مراحل كسب المعرفة ؟ والطوسي بالنسبة لموضوع المعرفة لم يخصص لها مبحثاً خاصاً، ولكننا نستخلص أراءه من خلال شروحاته وتعليقاته ونقده لكل من ابن سينا في " الإشارات والتنبيهات " والرازي في " المحصل " بالإضافة إلي كتابيه تجريد الاعتقاد وأداب المتعلمين الذي ناقش فيهما أراء المتكلمين والفلاسفة فيما يخص موضوع العلم والمعرفة. وهذا دأب الطوسي في كثير من قضايا الفلسفة: كان يبث أراءه من خلال مناقشاته وتعليقاته ومحاوراته . ولهذا نحاول استخلاص آرائه في مفهوم المعرفة، ومصادرها وموضوعها، وحدودها، ودرجات اليقين. من خلال العرض للموضوعات الآتية:

أولًا مفهوم المعرفة والعلم

ثانيًا: موضوعات المعرفة

ثالثًا: طبيعة المعرفة

رابعًا: إمكانية المعرفة

خامسًا: مصادر المعرفة

سادسًا: مراحل كسب المعرفة

سابعًا: حدود المعرفة

ثامنًا : درجات اليقين

تاسعًا:موقف الطوسى من معرفة الله سبحانه وتعالى

أولًا: مفهوم المعرفة والعلم.

المعرفة والعلم والإدراك ألفاظ مترادفة، ومتشابهة في المعني والاصطلاح لهذا نجد أن معظم فلاسفة الإسلام من أمثال: الطوسي، وابن سينا والرازي كانوا يستخدمون لفظ إدراك وعلمًا كثيرًا ، أما لفظ معرفة فلم يستخدم إلا

نادرا ويبدوا أنهم استعاضوا عنه بلفظ الإدراك وقد ذهب البعض إلي أن الإدراك هو المعرفة في أوسع معانيها، وتشمل الإدراك الحسي وإدراك المجردات والكليات. أي أن الادراك يشمل المادي والمجرد كما ذهب الطوسي في قوله " الشئ المدرك إما أن يكون ماديا أو لا يكون فإن كان مادياً فحقيقته المحتملة هي صورة منتزعة من نفس حقيقته الخارجية انتزاعاً(1)" ويري أيضاً أنه إذا كان هذا الشئ المدرك " مفارقا فلا يحتاج فيه إلي الانتزاع(2)" وقد عول الطوسي فيما ذهب إليه من أراء علي ابن سينا في قوله " إدراك الشئ هو أن تكون حقيقته متمثلة عند المدرك يشاهد ما به يدرك....(3) " ولهذا فمفهوم الإدراك عنده هو حصول الشئ أو صورته عند النفس إما لحصوله في النفس أو لحصوله عند الحس. أو الحضور عند النفس مطلقاً(4) " وعن كيفية تعقل النفس وإدراكها للشيئ المدرك، فيقول " وتعقل بذاتها وتدرك بالآلات للامتياز بين المختلفين وضعا من غير استفادة(5) " ويعني الطوسي بهذا النص أن التعقل خاص بالأمور الكلية لذات النفس من غير الحاجة إلي ألة أما الإدراك فهو من خواص الحواس. ولكنه فيما بعد يتبين من عملية الحصول علي المعرفة في الأمور المادية لابد وأن يتم بكلا المصدرين أي بالعقل والحس. وهذا سنوضحه عند الحديث عن مراحل كسب المعرفة وهذا المفهوم لمعني الإدراك يشبه مفهوم المعرفة فهي إدراك الشئ علي ما هو عليه سواء كان مادياً أو مجرداً. وهي مسبوقة أي المعرفة بجهل بخلاف العلم(6). ولفظ معرفة في اللغة كما ورد في المصباح المنير:- بمعني عرفته عرفه، وعرفانا: علمته بحاسة من الحواس الخمس، والمعرفة اسم منه(7) ومن معانيها عند الطوسي " الدراية(8) " وقد ورد لفظ الإدراك في القرآن الكريم بمعني المعرفة في قوله تعالي " لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (9) " فورد لفظ الإدراك بمعني المعرفة ولهذا فيكون استعمال الطوسي وابن سينا للإدراك بمعني المعرفة أمراً مقبولًا، وخاصة أننا لاحظنا هذا الاستعمال متداولا عند كثير من العلماء والفلاسفة. فالغزالي مثلا يعرف لفظ المعرفة بأنها " إدراك المعلومات الصورية والتجريبية والميتافيزيقية كما هو في الواقع ونفس الأمر(10)" ومن التعريفات التي تعرف لفظ معرفة بالإدراك تعريف د. عمر الشيباني بأنها " تعني ما تتحصل عليه من معلومات يقينية، وما نكونه من مدركات وتصورات حازمة عن موضوع أو شئ ما(11) " أو هي العلاقة الذهنية التي

([1]) نصير الدين الطوسي: شرح الأشارات لأبن سيناء ،تحقيق سليمان دنيا . دار المعارف , 1960ج2 ص 359.

([2]) م. السابق ص 360.

([3]) م. السابق , ص 359-362.

([4]) م. السابق , ص 360

([5]) نصير الدين الطوسي: تجريد الاعتقاد، من كشف المراد، شرح العلامة الحلى طبعة مؤسسة الأعلمى, بيروت , 1979,ص 203.

([6]) الجرجاني :التعريفات ص 151.

([7]) المصباح المنير ص 618.

([8]) الطوسي: اوصاف الأشراف, ترجمة محمد الخليلى , مطبعة النجف . 1956م, ص 86.

([9]) الانفال الاية 103.

([10]) سليمان دنيا: مقال في المعرفة, مطبعة مصر , 1955م, ص 10.

([11]) عمر محمد التوني الشيباني: مقدمة في الفلسفة الاسلامية، الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس, 1975م, ص 128.

تتكون لدي الإنسان بين عقله وبين موضوع خارجي أو بأنها العلاقة التي تكونها بين قوي إدراكنا وبين الأشياء التي ندركها,ولأجل هذا المفهوم لمعني المعرفة والإدراك نجد أن الطوسي قد أخذ به مصطلحاً دائما بدلا من لفظ المعرفة، ولهذا أخذ بتقسيم ابن سينا لأنواع الإدراك حسب تقسيمنا لأنواع المعرفة. فهو يقسم الإدراك إلي أربعة أنواع " إحساس، وتخيل، وتوهم، وتعقل(1) " ويعرف لكل نوع منهم بحيث لم يخرج عن مدلول لفظ معرفة فيقول عن :-

الإحساس : إدراك الشئ الموجود في المادة الحاضرة عند المدرك علي هيئات مخصوصة به محسوسة من الأين، والمتي، والوضع، والكيف، والكم وغير ذلك (2) "

والتخيل: إدراك لذلك الشئ مع الهيئات المذكورة، ولكن في حالتي حضوره وغيبته(3)".

والتوهم: " إدراك المعاني غير المحسوسة، من الكيفيات والإضافات مخصوصة بالشئ الجزئي الموجود في المادة لا يشاركه فيها غيره(4)".

والتعقل: " إدراك الشئ من حيث هو هو فقط لا من حيث هو شئ آخر سواء أخذ حده، أو مع غيره من الصفات المدركة بهذا النوع من الإدراك(5) " فالإدراك هنا داخل فيما هو محسوس – أو متوهم أو متخيل أو معقول أي أنه خاص بالأمور المحسوسة والمعقولة هذا عن مفهوم المعرفة والإدراك، والعلاقة بينهما أما العلاقة بين العلم والإدراك فهذا ما سنوضحه.

العلم والإدراك والمعرفة:- مفهوم العلم عند الفلاسفة هو : "حصول صورة الشئ في العقل(6) " وهو أيضًا " وجدان النفس المنطقية الأشياء بحقائقها(7) والفرق بين العلم والمعرفة أن العلم خاص بإدراك الصور التي في غير مادة والمعرفة خاصة بإدراك الصور ذوات المواد. وقد جوز العلماء استعمال هذا مكان هذا أي المعرفة مكان العلم، والعلم مكان المعرفة للاتساع في اللغة(8)" والملاحظ هنا أن كلا من المعرفة والعلم إدراك أو بمعني الإدراك.

وإذا كان العلم يختص بالمجردات أما المعرفة بذوات المواد. فضلا عن أننا أثبتنا أن لفظ معرفة يستخدم بمعني الإدراك. إذن لفظ علم ومعرفة وإدراك إذا استخدموا أدو نفس المعني وهو المعرفة. ونجد الطوسي قد ذهب قريبا من هذا فهو يفرق بين العلم والإدراك بأن الفرق بينهما هو الفرق بين الجنس والنوع، بمعني أن العلم يطلق علي الإدراك للأمور الكلية مثل اللون والطعم مطلقاً، والإدراك يطلق علي الحضور عند المدرك مطلقا فيكون شاملا للعلم

([1]) الطوسي: شرح الاشارات، دنيا ج2 ص 367.

([2]) م. السابق ص 367.

([3]) الطوسي: شرح الاشارات، دنيا ج2 ص 367.

([4]) م. السابق ص 367.

([5]) م. السابق ص 367.

([6]) م. السابق ص 367.

([7]) الجرجاني: التعريفات ، فصل العين.

([8]) التوحيدي: المقايسات، تحقيق حسن السندوبي المطبعة الرحمانية مصر , 1929م ط 1 , ص 312، وأنظر الصاوي احمد رسالة الماجستير ، النزعه النقدية عند التوحيدي , رسالة ماجستير لم تنشر . 1989م, ص 86.

والإدراك الجزئي أي الحسي مثل هذا اللون وهذا الطعم، ولكن العلم لا يطلق علي هذا النوع من الإدراك، ولهذا توصف الحيوانات بالإدراك ولا توصف بالعلم. فالفرق بين العلم والإدراك هو الفرق ما بين النوع والجنس فالنوع هو العلم والجنس هو الإدراك وقد يطلق الإدراك علي الإحساس فيكون الفرق بينه وبين العلم هو الفرق بين النوعين لذا يقول الطوسي عن العلم إنه " يفارق الإدراك مفارقة الجنس للنوع وبالاصطلاح مفارقة النوعين(1)" إذًا الإدراك هنا يستعمل بمعني العلم أو بمعني المعرفة مع وجود الفارق بينه وبين العلم في الجنس والنوع . ولهذا وجدنا الطوسي يستعمل لفظ إدراك في كثير من المواضع.

ثانيًا: موضوعات المعرفة.

انتهينا من أن مفهوم المعرفة هو الإدراك في جميع صوره سواء كان مادياً او مجرداً، والسؤال الآن أنه ما دامت المعرفة هي الإدراك فما هو الموضوع المدرك....؟

هل هو الموضوعات العقلية الصرفة مثل الرياضيات والمنطق أو ما يسمي بالعلوم الصورية، والتي تسمي بالقضايا التحليلية؟ أم هو مباحث العلوم الطبيعية التي تخضع للحس والتجربة، أو ما يسمي بالعلوم التجريبية والتي تسمي بالقضايا التركيبية؟ أو هو كل هذه الموضوعات والتي تسمي بعالم الشهادة سواء العقلي منها أو المادي والذي يسمي بالوجود الخارجي المستقل عن الذات أم المراد من الموضوع المدرك هو عالم الغيب " الله وجوده وصفاته ووحدانيته " أم هما معًا أي عالم الشهادة وعالم الغيب..؟ فالمتتبع لتاريخ الفكر الإسلامي يجد أنه قد اختلفت الأراء حول هذه القضية وتشعبت الأحزاب والمذاهب فمنهم من رأي أن موضوع المعرفة كل ما هو عقلي وهذا مذهب العقليين منهم ، ومنهم من ذهب إلي أن موضوع المعرفة كل ما هو مادي محسوس، وهؤلاء اصحاب المذهب الحسي أى الذين يرون الحس هو مصدر المعرفة وهكذا أصحاب كل مذهب فمثلا أصحاب المذهب الواقعي ذهبوا إلي أن موضوع المعرفة " كائنات ذات وجود مستقل عن العقل والحواس اللذين يدركانها(2) " وإدراكنا للون الموجود بوجود يخصه ليس مجرد اكتشافا له فالعقل الذي يدرك موضوعاً معيناً لم يخلق هذا الموضوع أو هذا الشئ حتي يكون موجودا بالفعل، وحتي يكون وجوده رهناً بوجوده. وعلي الصورة التي يتصورها هو بها. فالشئ له وجود مستقل عن عقولنا حتي ولم عدم العقل فهو موجود، والعقل ليس له دخل في وجوده وإنما مجرد اكتشاف لهذا الشئ.

أما أصحاب المذهب المثالي أو الصوري فيرون أن " لا وجود للأشياء في العقل وبما أن العقل لا يحوي إلا أفكاراً فلاتكون الأشياء إلا أفكاراً لكن لا ينبغي أن يظن أن وجود الأشياء، متوقف علي إدراك المرء لها فإذا أدركها وجدت، وتحققها في عقله يكون هو معني وجوده(3) " أما إذا لم يدركها لم تتحقق في العقل، وتكون عند هذا عدما صرفا والأشياء عند أصحاب هذا المذهب " ليست إلا أفكاراً والأفكار لا وجود لها إلا في العقل....(4) " وخلاصة هذا أن أن موضوع المعرفة موجود ولكنه في العقل حتي ولو لم يدركها الإنسان.

([1]) الطوسي: تجريد الاعتقاد من كشف المراد، ص 249، وانظر ايضا شرح ابن المطهر الحلي للتجريد ص 249.

([2]) د. سليمان دنيا: مقال عن المعرفة، مطبعة مصر ، 1955 ص 27.

([3]) م. السابق ص 31.

([4]) م. السابق ص 31.

وهناك من يري أن موضوع المعرفة هوعالم الغيب والشهادة، أو هو " العلوم الصورية والعلوم التجريبية والميتافيزيقيا بما هي عليه في الواقع ونفس الأمر(1) " بمعني أنها تشمل كل ما هو مدرك سواء بالعقل أو بالحس، أو بالقلب أو بغيرها بمعني كل ما هو موجود. وهذا هو رأي معظم فلاسفة الإسلام ولهذا قسموا الوجود إلي وجود واجب والذي يسمي بعالم الغيب كما هو المصطلح عند البعض وممكن الوجود أو ما يسمي بعالم الشهادة كما هو فى مصطلح البعض. ولهذا نجدهم قد ربطوا نظرية المعرفة. بنظريتهم في الكون أو في الوجود بما هو موجود الواجب منه والممكن ,الذهني والخارجي ولا يمكن لأحد أن يبحث في نظرية المعرفة إلا بعد البحث والإحاطة بنظرية الوجود(2).ولهذا يعرف الفلاسفة الوجود بأنه المعلوم والمعلوم هو المدرك أما عن تحديدهم لموضوع المعرفة " فهو يشمل عالم الغيب وعالم الشهادة.

ولهذا نجد الطوسي قد جمع بين جميع الآراء التي سبق الحديث عنها فيما يخص المذاهب المختلفة من عقليين وحسيين، ومثاليين وغيرهم، فهو لم يقل بمذهب واحد ولكنه يقول بكل هذه المذاهب لأن موضوع المعرفة أصبح شاملاً لكل الموضوعات السابقة سواء العقلية أو الحسية أو الغيبية . فموضع المعرفة عنده : كل ما هو معلوم من عالم الشهادة وعالم الغيب وهذا واضح من اعترافه بمصادر المعرفة المختلفة من حس وعقل ووجدان، وكتاب وسنة.

ثالثاً: طبيعة المعرفة.

اختلفت الأراء حول طبيعة المعرفة ، منذ الأزل حتي وقتنا الحاضر، وانقسمت إلي عدة مذاهب منها:-

الواقعية الساذجة والتي تتمثل في المثقف العادي – تري أن طبيعة المعرفة ماهى إلا صورة " لما يجري في العالم من وقائع وأحداث فالحقائق الخارجية هي بمثابة الأصل ومعرفتي إياها بمثابة الصورة...(3) " وفي نظرهم أن العقل في إدراكه للاشياء عبارة عن لوحة قابلة لا فاعيلية فيها كأنه آله تصوير تلتقط الصورة.

الواقعية النقدية: وهي التي تجعل الواقع مصدراً لمعلوماتنا، فإذا أخذت الصورة وحللتها إلي عناصر بسيطة أو مركبة، هذا التحليل وهذه النظرة إلي عناصر كل صورة تسمي نظرة نقدية أو ما يسمي بالواقعية النقدية، ومن أصحاب هذه النظرة: جون لوك(4).

طبيعة المعرفة عند البرجماتية: ونعني بالبرجماتية بيان لما " يمكن أن يكون عليه سلوكنا في حياتنا العلمية بحيث نحقق رضا النفس لأكثر عدد ممكن من الناس(5) " ومن أنصار هذه النظرية، وليم جيمس الفليسوف الامريكي.

([1]) سليمان دنيا، مقال في المعرفة ص 6.

([2]) محمود قاسم: نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدي توماس الأكويني،مكتبة الانجلو المصرية , ب،ت ص 5.

([3]) زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة،مكتبة الانجلو المصرية , 1969م, ص 11.

([4]) م. السابق ص 20-28.

([5]) م. السابق ص 37.

طبيعة المعرفة عند المثاليين:- هي نفسها طبيعة الوجود بمعني أنه لا وجود إلا لما يدركه العقل ولا يعترفون بوجود شئ خارج العقل " وما ليس يدركه عقل ما يستحيل أن يكون موجوداً(1) " فمعرفة الشئ ووجوده جانبان لحقيقة واحدة. بمعني أنه لا فرق بين الشئ باعتباره كائناً من كائنات العالم. أوباعتباره مدركا من مدركات العقل ومن أصحاب هذا المذهب الفيلسوف الألماني هيجل.

هذا عن المذاهب المختلفة في تحديدهم لطبيعة المعرفة، وكل منهم يري أن ما يعتقده هو الصح وما عداه خطأ. ولكن ما هو موقف فلاسفة الإسلام من أمثال الطوسى وابن سينا وفخر الدين الرازى من هذه المذاهب وما هي طبيعة المعرفة عنده.....؟

فالطوسي كفيلسوف مسلم يري أن طبيعة المعرفة هي الكشف عن كل ما هو موجود أو كل ما هو مدرك، سواء كان هذا الموجود من عالم الشهادة أو من عالم الغيب ولكن لكل منهم وسائله الخاصة المناسبة لإدراكه، فمثلا طبيعة ما يدركه العقل هو كل ما هو مجرد أو كل ما هو عقلي، وطبيعة ما يدركه الحس، كل ما هو مادي أو حسي، أما الأمور الغيبية من وجود الباري ووحدانيته فهذا يدرك بالنقل والعقل معاً ومعهما القلب في بعض الأمور. وبهذا يكون الطوسي ومعظم فلاسفة الملسمين قد جمعوا بين كل المذاهب التي عرضت لطبيعة المعرفة، فهو مع العقليين والتجريبين ، والدينيين والمثاليين وغيرهم.... بشرط عدم التحيز لمذهب منهم بل جمعوا بينهم جميعاً . وهذا الذى لمسناه عند الطوسي هو ما كان متبعاً عند ابن سينا وفخر الدين الرازي، ولهذا لا نجد ثمة خلاف بين الطوسي وبينهم.

رابعًا: إمكانية المعرفة.

حددنا فيما سبق موضوعات المعرفة وطبيعتها عند بعض فلاسفة الإسلام وعند غيرهم من المذاهب ، والسؤال الآن هل المعرفة ممكنة أم غير ممكنة....؟ بمعنى هل أحكامنا علي المعارف التي حصلناها ونحصلها، بواسطة العقل أو بالحواس أو بغيرها من الوسائل – حقيقية أم أنها أوهام.؟ وإذا كانت حقيقية فهل في وسعنا التأكد من ذلك؟ وهل عقولنا وحواسنا وقلوبنا تصلح كآداة للعلم بالشئ.....؟ فالمتتبع لتاريخ المذاهب الفلسفية خاصة في موضوع المعرفة يري أن الكثير اختلفوا في إمكانية قيام المعرفة فمنهم من يري أنها ممكنة، وهم الاعتقاديون، ومنهم من يري أنها غير ممكنة وهم الشكاك، فالأعتقاديون يرون " أن ليس للمعرفة الإنسانية نهاية تقف عندها(2) " وأن القصور الذي يقع فيه الإنسان ليس ناتجاً من طبيعة عقله ولا من حواسه ولكنه قصور مرهون بزوال العوائق – التي تواجه الإنسان المدرك للشئ. أما الشكاك:- فيرون أنه " ليس للجهل الإنساني بحقائق العالم حد تقف عنده إذ لا وسيلة أمام الانسان في وسعه التماسها ليعرف شيئا خارج نفسه(3) " كما يرون أيضاً أن المعرفة بمعني العلم بالشئ كما هو في حقيقته الخارجية مستقلا عن ذات الشخص العارف مستحيلة. فعندهم أنه لا يسع الإنسان أن يعرف شيئا. لا في صلة ذلك الشئ نفسه وحتي لو فرض أن في وسع الإنسان أن يعرف شيئا فلا يستطيع أن ينقل

([1]) زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة ص 40.

([2]) زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، ص 104.

([3]) م. السابق ص 105.

هذه المعرفة إلي غيره " لأنها ستصبح جزءاً من ذاته، وكل ما في استطاعته إزاء الأخرين هو أن ينطق بكلمات وليست الكلمات هي نفسها المعرفة الذاتية التي عرفها(1) " ومن أصحاب هذا المذهب ومؤسسيه الفيلسوف اليوناني بروتاجوراسي، عاش ما بين 480-410ق.م.أما عن فلاسفتنا من أمثال :الطوسي وموقفه من إمكانية المعرفة، وهل هناك معرفة ممكنة أم لا.....؟ فهو كرجل مسلم، درس القرآن الكريم وتعلم الحديث النبوي الشريف، كما تعلم العلوم الشرعية منذ صباه، وتربي تربية علمية علي يد والديه، وتحمل المشاق والصعاب في سبيل تحصيل العلوم المختلفة. كل هذا دليل علي إيمانه بامكانية المعرفة والعلم بكل المعارف. فضلا عن أنه كعالم رياضي، وفلكي، وله نظريات كثيرة في الرصد والحساب وغيرهما من العلوم، فكل هذا جعله مؤمن بقيام المعرفة ومؤمن باليقين الذي يأتي به.

ومن الأدلة التي تؤكد لنا اعترافه وإيمانه الكامل بقيام المعرفة أنه خصص بعضا من مؤلفاته في ماهية العلم والعلماء، كما يوجد له رسالة مطبوعة في فضل العلم وأهميته وآداب المتعلمين وطرق تعلم العلم وتحصيل المعارف المختلفة. فنجده يقول في فضل العلم إنه " لا يخفي علي أحد إذ العلم هو المختص بالإنسانية، لأن جميع الخصال سوي العلم يشترك فيه الإنسان وسائر الحيوانات كالشجاعة، والقوة والشفقة وغيرها(2) " ومن فضل العلم كما ذكر في رسالته أن الله أظهر فضل آدم عليه السلام علي الملائكة وأمرهم بالسجود له، كما أن العلم عنده هو الوسيلة إلي السعادة الأخروية هذا فضلا علي أنه يري أن العلم فريضة علي كل مسلم، وتلا حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة....(3) " ويقصد هنا بالعلم علم الحال. ولهذا وجب تحصيل العلم، وجبر المسلم عليه، وقد يكون الاحتياج إلي العلم فرضا علي سبيل الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، وإن لم يكن في البلد من يقوم به اشتركوا في تحصيله جميعا، كما يري أن العلم " بمنزلة الطعام لا بد لكل واحد من ذلك وهذا هو علم الأحوال، أما العلم الذي يقع في بعض الأحيان بمنزلة الدواء يحتاج إليه الإنسان في بعض الأوقات، وهناك من العلوم ما هو محرم مثل علم النجوم، إلا ما يعرف به القبلة، والعلم عنده ذو حدين فيه ما ينفع ويجب علي الإنسان تحصيله وعلم يضر ووجب علي الانسان الابتعاد عنه. كما ينصح الطوسي طالب العلم بأن يختار من كل علم أحسنه وما يحتاج إليه في أمور دينه في الحال والمآل. ومن أفضل العلوم عنده علم التوحيد ومن تقديره للعلم والعلماء قال " ينبغي أن يعظم العلم وأهله بالقلب غاية التعظيم، قيل الحرمة خير من الطاعة حتي لا يأخذ الكتاب ولا يطالعه ولا يقرأ الدرس إلا مع الطهارة.....(4) " وقد كان الطوسي يبجل العلم والعلماء ويظهر احترامه لأساتذته ومن ثم كان محبوباً عند أساتذته ولم يجد الطوسي عذراً لكل صاحب عقل في ترك التعلم، ولهذا أورد عدة مسالك ينبغي علي طالب العلم سلوكها.

([1]) م. السابق ص 107.

([2]) نصيرالدين الطوسي: اداب المتعلمين. تحقيق بحى الخشاب , مجلة معهد المخطوطات, مجلد 3, 1957, ص 273.

([3]) المرجع السابق, ص 273.

([4]) م. السابق ص 275.

ومن أدلة اهتمام الطوسي بالعلم والعلماء أنه خصص فصلًا في كتابه " أخلاق محتشمي " عن العقل والعلم وشرفهما(1). إستدل فيه بآيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء والحكماء علي فضل العلم وشرفه نذكر قوله تعالي " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (2) " وقوله تعالي " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ (3) " ومن الآيات أيضا قوله تعالي " وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (4) " كما ذكر من الأحاديث الكثير مما يدل علي أهمية العلم وشرفه وضروريته منها قول رسول الله صلي الله عليه وسلم ".... من طلب علمًا فأدركه كتب له كفلان من الأجر ومن طلب علما فلم يدركه كتب له، كفل من الأجر(5) " وقوله " ص " أن قليل العمل مع العلم كثير. وكثير العمل مع الجهل قليل. من لم ينفعه علمه ضره جهله(6) " وقوله "ص" اطلبوا العلم ولو بالصين..(7) "، وقوله أيضا " اطلبوا العلم فإنه يؤجر فيه أربعة، أربعة، العالم والمتعلم والمستمع والمحب لهم(8) ".

كما ذكر الطوسي الكثير من أقوال الحكماء والدعاة مما يدلل به علي مكانة العلم وإمكانية وجوده فيقول " لا يمنعك من العلم تقادم السن والكبر فإنك حقيق بطلبه ما قدر لك العمر لأن العلم أكثر من أيام العمر(9) " وينقل وينقل لنا عن سقراط أنه كان " يتعلم الموسيقي علي الكبر فقيل له، ما تستحي أن تتعلم علي الكبر هذا فقال: حيائي من أكون جاهلا علي الكبر أكثر...(10)" وذكر أيضاً أنه " خير سليمان بن داود بين الملك والمال والعلم، فاختار العلم، فتبعه الملك والمال(11) " وقال أيضا في أهمية العلم " لا شئ أمنع جانبا من العلم وذلك لأنه لا يعطيك بعضه حتي تعطيه كلك(12) " ولكي يبين لنا ضرورة تنوع العلم وشموله فقال " ليس الإغراق في علم ما خير من شأن العلماء والحكماء بل الأخذ من كل منهم – وإنما يتفرد بعلم واحد من يحب المراء والتكسب(13) " ثم أورد بيت من الشعر عن العلوم فقال :

هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث الغير.

([1]) نصير الدين الطوسي، أخلاق محتشمي. تحقيق على مقلد, ط1 الدار العالمية للطباعة والنشر لبنان1981م ص 35.

([2]) سورة المجادلة الاية 11.

([3]) سورة الزمر الاية 9.

([4]) العنكبوت الاية 43.

([5]) نصير الدين الطوسى : أخلاق محتشمى ، ص 35، بحث عن الأحاديث في الصحاح ولم نعثر عليها.

([6]) م. السابق، ص 35، بحث عن الأحاديث في الصحاح ولم نعثر عليها.

([7]) م. السابق، ص 35، بحث عن الأحاديث في الصحاح ولم نعثر عليها.

([8]) الطوسي، أخلاق محتشمي، ص 35، بحث عن الحديث ولم نعثر عليه.

([9]) م. السابق ص 36

([10]) م. السابق ص 36.

([11]) م. السابق ص 36.

([12]) م. السابق ص 36.

([13]) م. السابق ص 37.

هكذا كانت مكانة وفضل العلم وأهميته وضرورته أيضا لهذا لا نستطيع إلا أن نقول فيه أنه يؤمن بالمعرفة بجميع أنواعها ويؤمن بإمكانها وباليقين الذي تأتي به. كما أننا وجدناه يؤيد الرازي في هجومه علي منكري النظر سواء في الآلهيات وغيرها من العلوم، فقد ذهب منكروا النظر إلي إنكاره مطلقاً بحجة أن العلم بالاعتقاد والحاصل عقب النظر علم لا يجوز أن يكون ضروريا وأن المطلوب أن كان معلوما فلا فائدة في طلبه وغيره من الحجج التي ذكروها(1). ذكروها(1). وقد علق الطوسي بما يدل علي اعتقاده الراسخ في العلم بمختلف مجالاته فقال أن الرد الصحيح الذي الذي يجب أن يقال هو أن " وقوع الغلط في البعض مع جواز الاحتراز عنه لا يوجب رد الكل والاحتمال غير باق مع جزم العقل(2) " هكذا كان اعتقاد الطوسي وابن سينا والرازى في العلم وامكانية قيامه ولهذا نجده قد رتب العلم إلي إلي مراتب ثلاث:-

المرتبة الأولي. أن يكون بالقوة المحضة، أى عدم التعقل عما من شأنه ذلك.

المرتبة الثانية. أن يكون بالفعل التام، مثل علم الشئ علمًا تفصيلياً.

المرتبة الثالثة. العلم بالشئ إجمالا، كمن علم مسأله ثم غفل عنها.

فإنه يحضر الجواب عنها في ذهنه وليس ذلك بالقوة المحضة لأنه في الوقت عالم باقتصاره وقد عول الطوسي في ترتيبه العلم علي ابن سينا(3). ولهذا قال عن العلم: " ومراتبه الثلاث(4) ".

خامسًا: مصادر المعرفة.

ليس الخلاف حول مصادرالمعرفة حديث بل قديم ويرجع الخلاف إلى كون تعدد مصادرها، وبقدر تعددها اختلفت المذاهب حول مصادرها وكل مذهب يناصر مصدره الذي أخذ به، وظلت هذه المذاهب منذ عصر اليونان إلي يومنا تتنازع حول المصدر الحقيقي للمعرفة ومجمل هذه المذاهب هو:-

أصحاب الحس كمصدر حقيقي للمعرفة وما عداه فلا يصح أن يكون مصدراً لها. وهؤلاء هم الحسيون أو التجريبيون.

أصحاب مصدر العقل: ويرون أنه لا يوجد مصدر غير العقل يصلح أن يكون مصدراً لها. لما يمتاز به العقل من صدق ويقين، وهم علي العكس من أصحاب مصدر الحس لأنهم يرون الحس مخادعاً وكذاباً.

أصحاب المذهب النقدي: وهؤلاء جمعوا بين المصدرين السابقين أي يرون أن مصدر المعرفة هو الحس والعقل.

أصحاب مذهب الحدس: أو العيان المباشر أو المعرفة القلبية كل هذه مسميات لأصحاب المذهب وهم الصوفية و يرون أن الحدس هو المصدر الوحيد الصادق للمعرفة.

([1]) فخر الدين الرازي: المحصل ص 41.

([2]) الطوسي: تلخيص المحصل ص 42.

([3]) ابن المطهر الحلي: كشف المراد، تجريد الاعتقاد ص 25.

([4]) م. السابق ص 249.

أصحاب المذهب السني: أي الذين يعتمدون علي الكتاب والسنة في كل مصادرهم وهم يرون إضافة لكل المصادر السابقة أن مصدر المعرفة هو ما جاء به كتاب الله وسنه نبيه "صلي" مع الاعتراف بالحس والعقل كمصادر للمعرفة ولكن في درجة تالية للكتاب والسنة.

والسؤال الأن ما هو موقف فلاسفة الإسلام من هذه المذاهب؟ وهل أخذوا بمذهب منهم وما هو هذا المذهب؟ أو أخذوا بها جميعاً كما ذهب أهل السنة ؟ والباحث في منهج الطوسي والرازى وابن سينا في المعرفة ومصادرها ووسائلها يجد صعوبة كبيرة في استخلاص مذهبهم في المعرفة ومصادرها فالطوسى مثلا لم يعين صراحة مصادره في المعرفة، وإن كان قد تحدث عنها بطريقة غير مباشرة في أماكن متعددة من مؤلفاته الخاصة به ومؤلفاته التي ناقش فيها كل من ابن سينا والرازي والشهرستاني. ولكن للمطلع علي جميع مؤلفاته وانتاجه العلمي يجد أن الرجل كان عالماً فلكيًا، ورياضيًا، وبصريًا، ولأجل هذا نستخلص أنه لابد وأن يعترف بالحس والعقل كمصادر للمعرفة ما دام عالماً يقوم بالتجربة والملاحظة وهذا شأن كل عالم الاعتراف بالحس ونجده أيضًا فيلسوفًا ومتكلمًا وعقائديًا وأخلاقيًا، وكل هذا يجعله يعترف بالعقل، بالإضافة إلي ما جاء به كتاب الله وسنة نبيه " صلي " ونجده أيضا كتب في التصوف، وشرح الجزء الخاص بالتصوف عند ابن سينا واعترف صراحة بالمعرفة القلبية وبكتاب الله وسنة نبيه في أماكن متعددة. لهذا يمكننا القول علي الوجه الاجمالي ومبدئيا أن الطوسي قد أخذ بكل مصادر المعرفة من حس وعقل، وحدس وكتاب وسنة. ولكي نتأكد من هذا سنعرض لمواقفه تجاه كل مصدر علي حده ورأيه في درجة يقينه.

المصدر الأول الحس.

مما يدل علي اعتراف الطوسي بالحس كمصدر للمعرفة تعريفه له بأنه " إدراكا للشئ الموجود في المادة الحاضرة عند المدرك علي هيئة مخصوصة به محسوسة من الأين والمتي والموضع، والكيف، والكم وغير ذلك (1) " فهو إدراك – والإدراك معرفة – وهو أيضا أدراك لكل ما هو محسوس. لكنه رفض أن يكون للحس حكم لأنه من اختصاص العقل لهذا يقول عن الحكم فهو " تأليف بين مدركات الحس أو بغير الحس علي وجه يعرض المؤلف لذاته(2) " فالحس عنده كما يفهم من النصوص الواردة لنا أدراك وفقط، ولا شئ من الأحكام محسوس ولا للمس شأن بالتأليف الحكمي، ولهذا لا يمكننا وصف ما هو محسوس بكونه يقينياً أو غير باطلا أو صواباً لأن هذا من اختصاص الأحكام، وليس للحس حكم لأن الحكم بالصدق والكذب مرحلة تالية لعملية الإدراك(3).

ومما يدل علي اعترافهم بالحس كمصدر للمعرفة رد الطوسى علي المشككين في الحس والمتهمين له بالغلط والخداع، وأنه ليس للحس شهادة ولهذا لابد من حاكم آخر يميز الخطأ من الصواب فكان رد الطوسي " أن الحس ليس له حكم في شئ من المواضع(4) " لهذا يبطل القول بأن الحكم الحسى قد يكون باطلا. لأنه قد صرح أن الحكم

([1]) الطوسي: شرح الاشارات، دنيا ج 2 ص 367.

([2])الطوسى :تلخيص محصل المتقدمين والمتأخرين لفخر الدين الرازى. تحقيق عبد الرؤف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية. ب.ت ص 20.

([3]) م. السابق ص 20.

([4]) الطوسي: تلخيص المحصل ص 28.

للعقل، وعلي الرغم من أن الحس ليس له حكم إلا أنه شرط في حصول هذا الحكم للعقل وإن كان يري أن الإحساس لا يكون أقوى من التعقل لأن " الإستعداد شرط في حصول الكمال، وليس بأقوي من الكمال(1) ".

ومن أدلته علي الاعتراف بالحس معارضته للذين أوقفوا المعرفة علي العقل وحده، والذين يسمون أنفسهم بالعقليين. كما نجده عارض الرازي في اعتقاده بأن فلاسفة اليونان مثل أرسطو وأفلاطون، وبطليموس وجالينوس قد ذهبوا إلي " أن اليقينات هي المعقولات لا المحسوسات2 " واحتجوا علي صحة قولهم بأن " الحس إما أن يعتبر من الجزئيات أو الكليات أما في الجزئيات فغير مقبول لأن حكمه في معرض الغلط، وإذا كان كذلك لم يكن مجرد حكمه مقبولا(3) ". ومن الحجج التي أوردها الرازي وقد احتج بها علي الشك في الحواس والقدح " أن البصر قد يدرك الصغير كبيراً كما يرى النار البعيدة في الظلمة عظيمة... وكما إذا قربنا حلقة الخاتم إلي العينين فإنا نراها كالسوار(4) " ولكن الطوسي تصدي بالرد ومعارضة الرازي في اعتقاده أولًا في أن اليونان اخطأوا الحس ونفي أن يكون مصدرًا صادقًا للمعرفة وتعجب من اعتقاد الرازي هذا لأن هؤلاء كما يري الطوسي أى أفلاطون وأرسطو وبطليموس وجالينوس من المعترفين بأن الحس مصدر من مصادر المعرفة، وقال إن إدعاء الرازي علي هذه:"الجماعة المذكورة من الحكماء زعموا أن المحسوسات لا تكون يقينية بحق(5) " لأنهم ذكروا أن مبادئ اليقينات هي " الأوليات والمحسوسات والمجربات والمتواترات، والحدسيات، وسموها بالقضايا الواجب قبولها(6) " وذهبوا حسب ما قاله الطوسي إلي أن مبادئ المجربات والمتواترات والحدسيات هو الإحساس بالجزئيات والأوليات التي يكتسبها الصبيان، والتي تحصل باستعدادهم بقبولهم الإحساس بالجزئيات واعتراض الطوسي علي الرازي هذا يأتي من منطق تحمس الطوسي للحس وأن هؤلاء الذين ظن الرازي أنهم من القادحين في الحس معترفين به، وعدوه من مبادئ اليقينات الأولية، ومن القضايا الواجب قبولها، ولن تتم المعرفة إلا بالاستعداد لقبول الإحساس.

ويستدل الطوسي علي اعتراف هؤلاء اليونانيين بالحس كمصدر للمعرفة بأن كبير الجماعة ويعني به أرسطو قد حكم بأن من فقد حسًا قد فقد علمًا كما أن أكثر أصول العلم الطبيعي كالعلم بالسماء والعالم عنده مأخوذة من الحس وكذلك علم الأرصاد والهيئة عند بطليموس مستمدة من الحس كما استمد بطليموس علم التجارب الطبية. وعلم المرايا وعلم جر الأثقال والحيل الرياضية من الحس وأنها مبنية علي الإحساس وأحكامه وإن أجل أقوالهم مبني علي الوثوق في الحس التي هي عنده مبادئ جميع العلوم، ولأجل هذا علق الطوسي علي ما ذكره الرازي سابقا بقوله " فكيف صاغ للمصنف أن يدعي عليهم بأنهم قالوا إن المحسوسات لا تكون يقينية بل إنهم بينوا أحكام العقل في المحسوسات من حيث هي محسوسات ولو كانت الأحكام التي تقع في معرض الغلط غير موثوق بها لكان

([1]) م. السابق ص 28.

([2]) الرازي: المحصل ص 20

([3]) الطوسي: تلخيص المحصل ص 20.

([4]) الطوسى: تلخيص المحص , ص 21.

([5]) م.السابق, ص 20.

([6]) م .السابق ,ص 21.

المعقولات الصرفة أيضا غير موثوق بها...(1) " كما علق علي الحجج التي ذكرها الرازي لهؤلاء في الشك في الحواس.فعن حجتهم إدراك الحس الصغير كبيرا والكبير صغيرا فيرد عليهم بأن : " البصر إذا أدرك الشئ صغيرا لم يدركه معه كبيراً ولا العكس والحاكم بأن المدرك في الحالتين شئ واحد لا يمكن أن يكون هو البصر لأن الحاكم لا يحكم إلا عند إدراكه في الحالتين معاً فإذا هو العقل بتوسط الخيال، وهذا الغلط إنما توهمه العقل لا البصر، وذلك أن العقل يحكم علي الشئ المرتسم في الخيال بالصغر إذا أحس بذلك ثم وجد البصر أحس به كبيراً فتوهم أن البصر غلط في إبصاره ولم يغلط علي مابينه هنا....(2) " أي أن المخطئ هنا العقل بسبب توسط الوهم لا البصر لأن البصر لا حكم له، فكيف يخطئ، كما علل الطوسي على ما ذكره الرازي من أدلتهم علي الخطأ الحسي في رؤية الخاتم كالسوار عند قربه من العين بأن هذا راجع إلي توسع: " الزاوية الشعاعية التي تحيط أضلاعها بالخاتم عند العين وإدراك الأشياء البعيدة صغيراً يكون لتضيق تلك الزاوية كما مر(3) ".

وعن حجتهم من خطأ الحس عندما يخطئ الناظر إلي الماء عند طلوع القمر فإنه يري قمرًا في الماء وقمراً في السماء، فيعلل الطوسي هذا بأنه ناتج من نفوذ الشعاع البصري إلي قمر السماء وبانعكاسه من سطح الماء إليه فإنه يراه مرتين مرة بالشعاع النافذ ومرة بالشعاع المنعكس وليس نتيجة خطأ الحواس كما توهم البعض(4).وهناك من أوجه المعارضة التي ذكرها الطوسي للقادحين في الحس كمصدر للمعرفة ما ذكره في تلخيصه للمحصل، ويتلخص موقف الطوسي من هذه الاعتراضات والنقد في إيمانه بالحواس كمصدر للمعرفة بشرط ارتباطها بالعقل لأن العقل هو الحكم نظراً لعدم القدرة علي الحس في الحكم علي الأشياء فهو يتمثل وروده في الإدراك لا مع حكم، والإدراك تصور كما ذكرذلك الرازي ووافقه عليه الطوسي بأن العقل أو النظر: " لا يمكن تمهيدها إلا بعد حصول العلم أو الاتفاق علي مقدمات هي المبادئ أو حصول اعتراف بوضع مقدمات هي كالمبادئ(5) "، ولابد من أن تكون هذه المبادئ المبادئ الأولية معلومة أو موضوعة أى محسوسة وبدونها لم يكن هناك نظر ولا بحث في شئ لأن البحث والنظر لهما من حصول ما يمكن الإدراك به وهو الحس بأنواعه، ولهذا يقول الطوسي عن الحس: " لا حكم له لا في الجزئيات ولا في الكليات إلا أن يكون المراد من حكم الحس حكم العقل علي المحسوسات، وإذا كان كذلك كان الصواب والغلط إنما يعرضان للعقل في أحكامه(6) "، ولو كان حكم الحس غير مقبول لكان حكم العقل كذلك لأنها عملية مرتبطة ببعضها.

([1]) م. السابق , ص 21.

([2]) نصير الدين الطوسي: تلخيص المحصل ص 21-22.

([3]) م.السابق ص 23.

([4]) م. السابق، ص 23.

([5]) م. السابق ص 21.

([6]) م. السابق ص 21.

ويرجع الطوسي الغلط الذي يقع هو فيه من:" غلط بديهية الإدراك النفساني من المحسوسات المتأدبة إليها لا غلط الحس(1) " ولهذا يصرح الطوسي بأن من لا يعترف بالحواس والأوليات كمصدر للمعرفة فلا يستحق الجواب عليه.والحس عنده يعني به جميع الحواس وقد ذكرها وهي:-

اللمس: وهو عنده:" قوة منبثة في البدن كله(2) "، يدرك به المنافي والملائم، وهو متعدد، ومعني هذا أن قوي اللمس قد تكون أكثر من واحد مثل أن تكون حاكمة بين الحار والبارد، أو الرطب واليابس أو حاكمة بين الصلب واللين أو الخشن والأملس.

الذوق وهو:" يفتقر إلي توسط الرطوبة اللعابية الخالية المثل والضد(3) "، وهو قوي قائمة بسطح اللسان.

الشم: قوة في الدماغ وهو: " يفتقر إلي وصول الهواء المنفعل من ذي الرائحة إلي الخيشوم(4) ".

السمع: يتوقف علي وصول الهواء المنضغط إلي الصماغ.

البصر: قوة مودعة في العصبيتين المجوفتين اللتين تتلاقيان وتتفارقان، إلي العينين بعد تلاقيهما وهو يتأثر بالحدقة(5).

وتقسيم الطوسي للحواس إلي خمس كلها مدركة لدليل علي اعترافه بتنوع مجالات الإدراك للحس بحيث يختص كل حاسة من الحواس الخمس بإدراك ما يخصها أو ما يتناسب مع تطبيقها.

وفي هذا التقسيم أيضاً دليل علي توسع مجالات الحس وبالتالي توسع وسائل المعرفة عن طريق الحس، فهناك المعرفة الآتية عن طريق حاسة اللمس، وأخري عن طريق حاسة الشم وثالثة عن طريق حاسة الذوق، ورابعة عن طريق السمع وخامسة عن طريق البصر.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن موقف الطوسي لم يقتصر علي النقد والمعارضة للقادحين في الحس، بل أنه يرفض أيضاً المتحيزين للحس والذين يرون أنه هو الوحيد مصدر المعرفة، فعلي الرغم من الاعتراف بالحس كمصدر للمعرفة إلا أنه لم يصل به الأمر إلي أن يتخذه مذهباً له مثل ما هو الأمر عند أصحاب المذهب الحسي من يونان ومعاصرين فلنعرض رأي هؤلاء من الحس وموقف الطوسي من هذه الآراء لو كان حياً فقد ذهب بعض فلاسفة اليونان إلي اتخاذ الحس مصدراً للمعرفة الإنسانية دون غيره من مصادر وهو عندهم المنفذ الوحيد التي منه: " تصل المعرفة إلي أنفسنا(6) "، فبوتاجراس الذي يري أن : " كل فرد مقياس للمعرفة فما يراه واحد صحيحاً فهو صحيح وما وما يراه الآخر خطأ فهو خطأ(7) "، ونجد مثال هذا الاعتقاد عند أصحاب المذهب التجريبي أو الحس في العصر

([1]) م. السابق ، ص 25، وانظر أيضاً من ص 20-28.

([2]) الطوسي: تجريد الاعتقاد، في كشف المراد، ص 206.

([3]) م.السابق ص 207.

([4]) م. السابق ص 207.

([5]) م.السابق ، ص 208-211.

([6]) أحمد فؤاد الأهواني: معاني الفلسفة. داراحياء الكتب العربية ,عيسى الحلبى. 1974م , ص 90.

([7]) أحمد فؤاد الأهواني. معاني الفلسفة ص 90.

الحديث والذين اتخذوا الحس مصدراً دون غيره، وعندهم أنه لو ألغيت أبواب الحس لم تقم معرفة، وضربوا لذلك أمثلة بأننا لم نعرف البرتقالة إلا إذا رأيناها بالعين أو ذقناها طعمها أو لمسناها بالإصبع أو شممناها بالأنف، وما البرتقالة عندهم إلا هذه الإدراكات الحسية(1) كما يرون، أن النفس عبارة عن لوح مصقول، وصفحة بيضاء خالية من الرسوم والصور، " وأن التجربة هي التي تنقش فيها المبادئ والمعاني جميعاً، فالحس والتجربة هما مصدرا المعلومات والمعارف(2) "، أو هما كما يقول جون لوك:" الينبوعان اللذان تتدفق منهما المعرفة(3) "، وقد رفضوا العقل كمصدر للمعرفة وعن أصحاب هذا المذهب أيضاً هوبز وبيكون، وجون لوك، وهيوم، وباركلي، فقد رفض هؤلاء دعوي.وجود أى أفكار فطرية كامنة في العقل كمون النار في الخشب، كما يعتقد العقليون ولهذا يرون أن العقل: " يولد صفحة ليس فيها نقش سابق علي التجربة، والتجربة هي التي تخط علي هذه الصفحة سطورها(4) "، فلو قارنا هذه الآراء بآراء الطوسي السابقة نجد أنه علي الرغم من أنه من القائلين بالحس إلا أنه يرفض المغالاة فيه بحيث يكون هو المصدر الوحيد للمعرفة كما قال هؤلاء – فهو وكما يفهم من نصوصه التى استقاها من مؤلفاته ومؤلفات ابن سيناء والرازى أنه يقر بالحس إلي جانب المصادر الأخري من عقل ونقل ووجدان كما ذهب إلي أن عمليه الإدراك عن طريق الحس لا يتم الحكم فيها إلا باستخدام العقل، لأنه الحكم نظراً لعدم وجود حكم للحس والطوسي في رأيه هذا متفق مع فلاسفة الإسلام الذين أخذوا بمصادر المعرفة المتعددة من حس وعقل، ونقل ووجدان، مثل الفارابي وابن سينا والغزالي وقد يكون الطوسي عول عليهم في آرائه هذه ويرجع ذلك إلي تقارب الأفكار فالفارابي مثلا أخذ بالمصادر المذكورة جميعها فيذكر عنه أنه يري :" أن العقل تحصل فيه صورة الأشياء عند مباشرة الحس للمحسوسات بلا توسط وليس الأمر كذلك، بل بينهما وسائط، وهو أن الحس المباشر للمحسوسات فتحصل صورها فيه ويؤدي بها إلي الحس المشترك، حتي تحصل فيه فيؤدي الحس المشترك تلك الصور إلي التخيل، والتخيل إلي قوة التميز ليعمل التميز فيها تهذيباً وتنقيحاً ويؤدها منقحة إلي العقل(5) "، في هذا يري الفارابي ارتباط الحس بالعقل ارتباطاً ضرورياً لإتمام عملية المعرفة، وهذا مايراه الطوسي كما سبق بيانه ولهذا نجده هاجم كل من يتحيز للحس وحده أو للعقل وحده.

المصدر الثاني العقل:-

لاتختلف كثيراً مكانة الحس عند فلاسفة الإسلام كمصدر للمعرفة عن العقل فهما مصدران أساسيان وقد يكونان بمرتبة واحدة لأننا لمسنا منهم أنهم لم يفضلوا واحداً عن الآخر، فالعقل عندهم مصدر شأنه شأن المصادر الأخرى ولهذا فالطوسى يعرفه بأنه: " غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات ويطلق علي غيره

([1]) زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة ص 53.

([2]) مصطفي الخشاب،:نظرية المعرفة الإنسانية عند المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع .مطبعة البيان ط 1 1952م , ص 4.

([3]) المرجع السابق ص 46.

([4]) سليمان دنيا :مقال في المعرفة، ص 39.

([5]) عمر الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص 138.

بالاشتراك(1) "، ومعني أنه يطلق علي غيره بالإشتراك أي أن العقل مشترك بين قوة النفس الإنسانية وبين الموجود المجرد في ذاته فيقال عقل علمي وعقل عملي، ويفهم من هذا أن العلم عنده علمي وعملي.ومفهوم الطوسي عن العقل لا يخرج عن مفهوم أهل السنة وكذا الإمام الرازي فقد عرف العقل عند أهل السنة كما قال المحاسبي بأنه:" غريزة يتوصل بها إلي المعرفة(2)"، وعند الرازي أنه: " غريزة يلزمها هذه العلوم البديهية عن سلامة صحة الحواس(3) "، فمفهوم العقل عندهم جميعاً واحد سواء عند أهل السنة أم الرازي أم الطوسي فهو غريزة يلزمها العلم أي يقتضيها العلم بالضرورة، وفي التعريف إقرار واعتراف بأنه مصدر ضروري للمعرفة ويفهم هذا من قولهم يلزمه العلم ولهذا نجد أن الطوسي عندما علق علي تعريف الرازي السابق فقال إن: " ما ذهب إليه المصنف هو الصواب(4) "، يقصد الرازي، هذا عن مفهوم العقل عند الطوسي والرازي والذي يدل علي أنه مصدر للمعرفة.

أما عن العلاقة بين العقل والإدراك – فعملية التعقل عند الطوسي إدراك الكليات والإدراك هو الإحساس بالأمور الجزئية، ولهذا قال عن كيفية تعقل النفس وإدراكها، بأنها:" تعقل بذاتها وتدرك بالآلات للامتياز بين المختلفين وضعاً من غير استفاد "، ومعني ذلك أن التعقل خاص بالأمور الكلية لذات النفس من غير الحاجة إلي ألة أما الإدراك فهو من خواص الحواس بمعني أن إدراك الأمور الجزئية يتم بواسطة قوي جسمانية وهو الحس وهذا لايحتاج إلي الوجود الخارجي.اتضح لنا رأي الطوسي في العلاقة بين العقل والإدراك، ولكن هناك سؤالا هل العقل موجود،؟ وما رأي الطوسي في إثباته.؟

إثبات العقل.

حاول الطوسي إثبات العقل بالعديد من الأدلة منها ما أخذه من الكتاب والسنة وما استخلصناه من خلال مناقشاته لنفاة العقل وأراء الفلاسفة حول العقل وإثباته أو إنكاره من النفاة ومن هذه الأدلة

الدليل الأول.

أن الطوسي في كتابيه " أخلاق محتشمي (5) " و " أخلاق ناصري أشار إلي أهمية العقل وشرفه واستدل علي علي وجوده بما جاء في كتاب الله فذكر قوله تعالي والذي يدل علي وجود العقل بالضرورة: " إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (6) "، وعن ضرورة وجوده لكل مسلم أومؤمن ما ذكره من السنة النبوية بأنه: " لا دين دين لمن لاعقل له، العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان(7) "، وقوله " أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل، فأقبل ثم قال له : أدبرفادبر فقال : وعزتي وجلالي، لا أخلق خلقاً أعز علي منك، بك أخذ وبك أعطي وبك أثيب

([1]) الطوسي: تجريد الإعتقاد، من كشف المراد ص 251.

([2]) الطوسى:تلخيص المحصل ص 109.

([3]) الرازى : المحصل ص 104.

([4]) تلخيص المحصل ص 104.

([5]) نصيرالدين الطوسى: أخلاق محتشمي, ص 35.

([6]) الأنفال الآية رقم 22.

([7]) الطوسي: أخلاق محتشمي ص 35.

وبك أعاقب(1) "، وذكر الطوسي لمثل هذه الآيات والأحاديث دليل أكيد علي رغبته في إثبات العقل بالدليل النقلي والسنة النبوية.

الدليل الثاني.

ومن الأدلة التي استدل الطوسي بها علي وجود العقل بالإضافة إلي الدليل السابق والتي لاشك فيها، أن الطوسي في رده علي نفاة العقل والجوهر قال بأن العقل موجود بدليل أنه لم " يثبت دليل علي امتناعه(2)"، وهذا إفحام لنفاة العقل لأنهم يعتقدون أن إثبات العقل يعد مشاركة لواجب الوجود.

الدليل الثالث.

وهذا الدليل قد استقاه الطوسي من أقوال الفلاسفة، وإن كان لم يصرح بأنه قد أخذ به أم لا لأن هذا الدليل قد عارض الطوسي أصحابه في إثباتهم عقول متعددة والطوسي لا يقول بذلك فهم يرون أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد وهذا الواحد هو المعلول الأول وهذا المعلول الأول هو العقل الأول، وهو الذي يصدر عنه العقل الثاني ثم عقل ثالث وفلك ثاني إلي أن ينتهي إلي العقل الأخير، وهو العقل الفعال، ولهذا يثبتون العقل(3)، ولكن يبدو أن الطوسي يرفض هذا الدليل لما فيه من تعدد العقول وكذلك فيه نفي لصدور الكثرة عن الواحد كما بين ذلك في كيفية صدور الموجودات، وقد عارض شيخه ابن سينا في قوله بالعقول العشرة.

الدليل الرابع.

وهذا الدليل قد ذكره الفلاسفة أيضا وعلق عليه الطوسي كما سنري، فقد استدلوا عليه بأن استدارة: " الحركة توجب الإرادة المستلزمة للتشبه بالكامل إذا طلب الحاصل فعلا أو قوه يوجب الانقطاع وغير الممكن محال لتوقفه علي دوام ما أوجبنا انقطاعه وعلي حصر أقسام الطلب مع المنازعة في امتناع طلب المحال(4) " ، وتقرير ذلك أنهم يستدلون علي وجود العقل بحركات السموات حركة إرادية لأنها مستديرة، وكل حركة مستديرة إرادية والمستديرة لا تكون طبيعية فهي مجردة، والعقل مجرد، إذًا هو موجود والطوسي علق علي هذا الدليل بأنه ضعيف ويدل علي ذلك: " توقفه علي دوام ما أوجبنا انقطاعه(5) " ولأنه مبني علي الحركة وقد تبين انقطاعها وهناك أدلة أخري ذكرها الفلاسفة وعارضها الطوسي في كتابه تجريد الاعتقاد وقد اكتفينا بأدلته التي أوردها للاستدلال علي العقل وبعض أدلة الفلاسفة مما عارضها لعدم كفايتها في إثبات العقل.

مكانة العقل.

([1]) المرجع السابق، ص 35، بحثنا عن الحديث في معجم ألفاظ الحديث فلم نعثر عليه ويبدو أنه ضيعف، ولكنا ذكرناه كما ذكره الطوسي للاستدال به علي قيمة العقل، وحيث لم يتعارض مع قيمته.

([2]) الطوسي: تجريد الاعتقاد، من كشف المراد ص 185.

([3]) الطوسي: تجريد الاعتقاد، من كشف المراد ص 185-186.

([4]) المرجع السابق ص 187-188.

([5]) الطوسي: تجريد الاعتقاد، من كشف المراد ص 188.

للعقل مكانة كبيرة عند الطوسي، وقد دلل علي هذه المكانة باستشهاده بما جاء في الحديث الشريف وأقوال الحكماء ونقل عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في مكانة العقل:" العقل قرة عين، الجهل حيرة عين، العاقل فيما يبقي له جماله وتبقي عنه وباله(1) "، وذكر أيضاً " العاقل حفظ التجارب، والتجارب عقل مكتسب العاقل من رفض الباطل(2) "، وقوله أيضاً " العاقل عارف بزمانه مقبل علي شأنه مالك للسانه، ذو العقل لا يكون ضحاكاً من غير سبب، ولا مشاء من غير أدب(3) "، كما نقل عن الحكماء قولهم في مكانة العقل " من لم يعقل العقل ولم يستضئ بنوره فقد صيره حجة عليه لا له(4) ، كما قال أن من شأن العقل:" أن يفرق بين الحسن والقبح، هو يسكن إلي الحسن وينفر من القبح(5) " وعن استخداماته فالعقل: " متوجه أينما وجه له غناء أينما صرف، وبعض مصارفه أنفع من بعض، فإذا صرف إلي الدين أحكمه وتفقه منه وإذا صرف إلي الدنيا أغني بها واحتال فيها، فليس مستودعاً شيئاً إلا حفظه، ولا مصبوغاً بصبغ إلا قبله، ولا محملا رشداً ولاغياً إلا تحمله، فإياك أن تعدل به عن رشد أو تصرفه إلي غي عامداً أو متخطاً فإنك لست محكماً به شيئاً من أمر دنياك إلا أضعت به أكثر منه(6) "، هكذا هكذا كانت مكانة العقل عند الطوسي نوراً يستضئ به الإنسان والآن بعد أن رفع الطوسي من شأنه وشرفه ومكانته ما هو دوره كمصدر للمعرفة؟ هل بعد أن رفع من شأنه وشرفه كما رأينا اعتبره مصدراً وحيداً للمعرفة دون غيره من المصادر كما ذهب البعض؟ أو هو مصدر مثل كل المصادر...؟ هنا ما سنكتشفه من خلال مناقشاته ومحاوراته وشروحه مع كل من ابن سينا والرازي مما يدل علي أن الطوسي يقر بأنه مصدراً هاماً للمعرفة لا غني عنه ونقده للقادحين في العقل ممن ذكرهم الرازي في المحصل.

فقد علق الطوسي علي قول هؤلاء القادحين بأن " المعقولات فرع المحسوسات ولذلك من فقد حساً فقد علماً كالأكمه والعينين والأصل أقوي من الفرع(7) "، ولكن الطوسي علي الرغم من اعترافه بالحس كمصدر للمعرفة إلا أنه لم يوافقهم في أن تكون الحواس هي الأصل والعقل هو الفرع لذلك قال:" إذا كان الإحساس شرطاً في حصول حكم عقلي لم يجب من ذلك أن يكون الإحساس أقوي من التعقل، فإن الاستعداد شرط في حصول الكمال وليس بأقوي من الكمال(8) "، وهناك من حجج القادحين في العقل والبديهيات العقلية الكثيرة ذكرهم الرازي في المحصل ورد عليهم الطوسي معارضاً وناقداً، فعرض لبعضهم(9):-

---

([1]) الطوسي: أخلاق محتشمي ص 36– الحديث بحثنا عن فلم نعثر عنه في الحديث الصحيح وكذا ما بعده.

([2]) الطوسي: أخلاق محتشمي ص 36– الحديث بحثنا عن فلم نعثر عنه في الحديث الصحيح وكذا ما بعده.

([3])الطوسي :أخلاق محتشمي ص 36– الحديث بحثنا عن فلم نعثر عنه في الحديث الصحيح وكذا ما بعده.

([4]) الطوسي: أخلاق محتشمي ص 37.

([5]) الطوسي :أخلاق محتشمي ص 37.

([6]) الطوسي: أخلاق محتشمي ص 37.

([7]) الرازي: المحصل ص 28.

([8]) الطوسي: تلخيص المحصل ص 28.

([9]) المحصل وتلخيص المحصل ص 28–29.

الحجة الأولي.

ذهب القادحون في العقل إلي أن أجل البديهيات وهو العلم بأن الشئ إما كذا أو لاكذا، وهذه القضية ليست يقينية، وما دام الأجل فيها غير متيقن إذا الذي يليها من الأولي أنه ليس يقيني كما أنهم رأوا أن البديهيات الأربع التي اعتمد عليها العقليون في الاعتماد علي العقل ثلاث منها معتمدة علي المعلول.

الأول: فيها والذي يقول أن النفي والإثبات لايجتمعان ولا يرتفعان.

الثاني: أن الكل أعظم من الجزء.

الثالث: أن الأشياء المادية للشئ الواحد متساوية.

الرابع: أن الجسم الواحد لا يكون في مكانين معاً(1).

وهم يرون أن هذه الثلاث الأخيرة متفرعة من الأول، ولكن الطوسي علق علي قولهم بأنه: " لو كانت الثلاث الأخيرة متفرعة من الأول لكانت نظرية غير بديهية لكنه عددها في البديهيات(2)"، وأن اعتمادهم علي صحة الحكم كان علي بديهية العقل لا علي مقدمة أخري(3).

الحجة الثانية.

يحتج أصحاب المذهب الحسي والقادحون في العقل كما ذكر عنهم الرازي، بأن العقل يكون:" جازماً بأمور كثيرة كجزمه بالأوليات مع أن الجزم غير جائز فيها وذلك يوجب التهمة إلي حكم العقل(4) "، واستدلوا علي ذلك بأنه إذا رأينا زيداً ثم أغمضنا أعيننا وفتحناها مرة أخري فنشاهد زيداً مرة أخري فنجزم بأن زيداً الذي رأيناه المرة الأولي هو نفسه زيداً الذي رأيناه المرة الثانية، وهذا الجزم غير جائز لاحتمال أن الله سبحانه وتعالي قد أعدم زيداً الأول في اللحظة التي أغمضنا عيننا فيها، وخلق في الحال بدلا منه وهذا ليس بغريب علي قدره الله تعالي. ولكن الطوسي يعارض هذا الذي ذهبوا إليه بقوله إن:" العقل جازم بلا تردد وأن هذا الزيد هو الأول ولو كان حكمه موقوفاً علي نفس الاحتمال المذكور لكان ذلك الجزم نظرياً لا بديهياً(5) " .

الحجة الثالثة.

كما احتج هؤلاء بأن الإنسان قد يجزم بصحة جميع المقدمات" دليل معين ثم يتبين له خطأ في بعض تلك المقدمات. ولأجل ذلك ينتقل الرجل من مذهب إلي مذهب، فجزمه بصحة تلك المقدمات الباطلة باطل فظهر أن البديهية متهمة(6) "، ولكن الطوسي رد عليهم رافضًا حجتهم قائلا : إن " قصور أفهام بعض الناس عن التفريق بين الحق والباطل واعتمادهم علي ما يتقلدونه من أبائهم وأساتذتهم بموجب حسن ظنهم فيهم ليس بقادح في الأوليات(7)

([1]) المحصل ص 28.

([2]) تلخيص المحصل ص 28.

([3]) المحصل ص 35.

([4]) تلخيص المحصل ص 35.

([5]) م.السابق, ص 36، وانظر أيضاً ما بعدها.

([6]) المحصل ص 38.

الأوليات(1) "، وأن أي تشكيك ليس من تعارض الدليلين أو الأخذ من مذهب إلي مذهب وخلاصة رأيه أن ترجيح أحد الدليلين المتعارضين لا يقدح في النظريات البديهية.

الحجة الرابعة.

يري هؤلاء أيضاً أن اختلاف الأمزجة والعادات يؤثر علي الاعتمادات والبديهيات وكان تعليق الطوسي علي هذا أن مقتضيات الطبائع والعادات والتقاليد والديانات لا شك في أنها مؤثرة في اعتقادات العوام لكنها:" لا تعارض متانة الحق الذي يعترف به جميع العقلاء حتي البله والصبيان والمجانين(2) "، لهذا فالطوسي يوجه تحذيراً للعلماء من طالبي الحق بعدم متابعة الأهواء والطبائع والعادات لأنها رؤساء الشياطين من شوائب الطبيعة ولاشك أن البديهيات لا تقدح لها.

هذا هو موقف الطوسي من حجج القادحين في العقل وفي نهاية تفنيده لحججهم أجمل رده عليهم في أن هذه الإتهامات التي أوردتموها، والتي بالضرورة تقدح في البديهيات العقلية، فإن هذه القضايا:" ليست قضايا حسية فهي إما بديهات، وإما نظريات مستندة إلي بديهيات فلو كانت قادحة في البديهيات لكانت قادحة في أنفسها لأنهم يقولون: نحن لم نقصد في إيراد هذه الشبهة إبطال البديهيات باليقين بل قصدنا إيقاع الشك فيها وكيف ما كان فمقصودنا حاصل(3)".

ونخلص من هذا العرض السريع إلي أن الطوسي بدفاعه عن العقل دليل علي إيمانه به كمصدر للمعرفة، وليس كما ذهب الشكاك فيه أنه مخادع أو كاذب، وليس دفاع الطوسي هذا عن العقل الهدف منه التقليل من أهمية الحس فقد سبق وأن دافع عنه أيضاً ضد العقليين والذين اتهموا الحس بالكذب والغش وعدم صلاحيته للمعرفة وهذا يدل علي أن الطوسي يؤمن بكل منهما وبأنهما مصدران أساسيان للمعرفة، ولكن لكل منهما دور في عملية الإدراك كما أن لكل منهما مرتبتة ودرجته التي لا يتعداها، فللحس دوره في الإدراك فقط دون الحكم والعقل يدرك الأمور الكلية ويحكم عليها إضافة علي حكمه علي الأمور المدركة من ناحية الحس، ولكن له حدود أيضاً يقف عندها ولا يتعداها، ولهذا رفض أن يكون الحس أصلا والعقل فرعاً، فالعقل له مهامه والحس له أيضاً مهامه، وإن كنا قد لمسنا عنده الإعلاء من شأن العقل عن الحس وهذا يرجع إلي أنه يقوم بدور الحكم العدل، وله الحق في ذلك لأن دائماً الحكم العدل في مرتبة أعلي من الذي يقوم بالإدراك فقط.

كما أننا نود الإشارة هنا إلي أن الطوسي علي الرغم من إعلائه من شأن العقل إلا أنه لم يتخذه مذهباً كما ذهب أصحاب المذاهب ولهذا لا نستطيع القول أنه من أصحاب المذهب العقلي المغالين من شأنه مثل ما ذهب إليه بعض الفلاسفة اليونان والفلاسفة المحدثين من تبجيل للعقل ومنهم أفلاطون صاحب نظرية المثل القائم علي تمثل العقل لمثل الأشياء وهي عنده المعرفة الصحيحة أما المعرفة الآتية عن طريق الحواس فهي ناقصة وغير صحيحة(4) ،

([1]) تلخيص المحصل ص 38.

([2]) المرجع السابق ص 38.

([3]) المرجع السابق ص 39.

([4]) الآهواني: معاني الفلسفة ص 91.

، ومن أصحاب المذهب العقلي في العصر الحديث، ديكارت، صاحب النظرية الرياضية الذي يري أنها:" يمكن الحصول عليها بالعقل دون الالتجاء إلي التجربة(1)"، وهي عنده مستمدة من العقل فقط، ومن أصحاب هذه النظرية أيضاً جون ستوارت مل وهو ممن يحتجون علي المعرفة الحسية وبأنها تفقد أهم شرطين يعتبرونها العقليون أساسين وهما شرط الضرورة، وصدق التصميم، أي أن القضايا العقلية ليست صادقة بالضرورة ولا معممة علي كل نوع، ويري ليبتنز، و" مابرانش" و"كانت" و"أندريه" أن " العقل البشري يشتمل علي بعض الأفكار الفطرية الموهوبة منذ ولادته دون أن يكسبها من التجارب التي تمر عليه في أثناء الحياة وتمتاز هذه الأفكار بأنها واضحة بسيطة أولية، وهي التي تؤلف الحياة العقلية بمعناها الصحيح كفكرة الزمان والمكان والإقتدار والعدد....(2)"، ويعتمد أصحابه علي صحة مذهبهم بأدلة منها:-

الأول: أن الناس جميعاً بلا استثناء يسلمون بهذه المبادئ العقلية.

الثاني: أن العقل البشري يدركها بمجرد وعيه.كما أنهم يرون أن الكيفيات التي تؤديها المعرفة الحسية يعدان من مبادئ العقل وخارجان عن شروط الحس. ولهذا لابد من أن يكون مصدرهما العقل(3).كما أن العقل عندهم: " جهاز التفكير الذي به تحدد المعرفة"، وله خصائص منها:-

أنه لا يطيق التوخي، فيتناول ما يعرض له من الأمور بتنظيم وترتيب.

أنه لا يحتمل الفراغ، بمعني أنه يكون علمه كافياً لتفسير كل ما يغمض عليه، ولا يكون هناك اتزان عقلي إلا إذا كان علمه يملأ فراغ عقله كله كما يملأ الغاز مهما قل الإناء(4) لكن الطوسي وإن كان يعترف بالعقل كمصدر وحيد للمعرفة ولكن اعترافه هذا لا يؤدي إلي التبخيل والتحيز له دون غيره من المصادر الأخرى ، كما أنه رفض القدح في التجربة أو الحس كمصدر للمعرفة، ولهذا لا نستطيع القول أنه كان من أصحاب المذهب العقلي ولا من أصحاب المذهب الحسي، نظراً لاعترافه بهما، وعدم تحيزه لأحدهما، وعدم التشكيك في قدرات أو مهام كل مصدر منها، فهو يعترف بهما كمصدرين للمعرفة كما أوضحنا ذلك.

المصدر الثالث الحدس.

ويسمي بالعيان المباشر أو المعرفة العقلية ، أو الإلهام، أو البصيرة، أو الوجدان ومن أصحاب هذا المذهب الصوفية، والإلهام أو الحدس عندهم هو امتزاج شخصية العارف بالشئ المعروف بحيث:" لا تكون هناك تفرقة بين الذات من جهة والموضوع من جهة أخري(5)"، ويسلكون طريق الذوق أو القلب والحاسة التي توصلهم إلي المعرفة هي الذوق ومحلها القلب، وهو ليس في تصورهم عبارة عن قطعه من اللحم بل هو باطن النفس ومن أصحاب هذا المذهب الإمام الغزالي وغيره من الصوفية.

([1]) المرجع السابق ص 91

([2]) مصطفي الخشاب: نظرية المعرفة الإنسانية عند المدرسة الفرنسية ص 7.

([3]) مصطفي الخشاب: نظرية المعرفة ص 8.

([4]) محمد كامل حسين: وحدة المعرفة, مكتبة النهضة المصرية . ب.ت , ص 12-13.

([5]) زكي نجيب محمود، نظرية المعرفة ص 94.

وعن موقف الطوسي من الحدس كمصدر للمعرفة نجده يعترف به كمصدر لها، ولهذا فهو يعرفه بأنه:" طفرة" – عند الالتفات إلي المطالب، بالحدود الوسطي دفعة، وتمثل المطالب في الذهن مع الحدود الوسطي كذلك من غير الحركتين المذكورتين سواء كان مع شوق أو لم يكن(1)"، وهذا التعريف يؤدي نفس المعني لتعريف ابن سينا للحدس فيقول عنه بأنه:" يتمثل الحدس الأوسط في الذهن دفعة: إما عقيب طلب وشوق من غير حركة وإما من غير اشتياق وحركة(2)" أي أن الحدس عبارة عن إلهام أو معرفة مباشرة تأتي للإنسان بدون واسطة أو بدون أن يطلبها وبغير حركة أو سعي لها، وهو نفس المعني الذي ذكره الطوسي وهو بالفعل قد أخذ التعريف منه في الإشارات واعترض الرازي علي هذا التعريف لابن سينا لكن الطوسي رد عليه بقوله إن الفاضل الشارح – يعني به الرازي:" جعل الحركة الثانية مشتركة بينهما وخص الأولي بالفكر دون الحدس – وقال:" الحدس هو أن يقع الحد الأوسط في الذهن أولًا " ثم ينساق الذهن منه إلي المطلوب، ثم قسمه: إلي ما يقترن بشوق فيتقدم الشعور بالمطلوب علي الشعور بالأوسط وإلي ما لايقترن به فيتأخر عنه(3)"، ولكن الطوسي لم يعجبه نقد الرازي هذا، ولذلك علق عليه بقوله إن :" ذلك خبط يشتمل – مع مخالفة المتن – علي التناقض الصريح(4)"، ونلاحظ هنا اتفاقاً بين الطوسي وابن سينا في تعريفهما للحدس، ولهذا لم يضف جديداً لما قاله ابن سينا ولكننا وجدنا خلافاً بسيطا بين الطوسي والرازي في جعل الرازي الحركة مشتركة بين الفكر والحدس، ولكن الطوسي يري أن مفهوم الفكر: " حركة المعاني، من المطالب، يطلب بها مبادئ تلك المطالب، كالحدود الوسطي وغيرها، فربما أنبتت، وربما تأدت، ويتم إذا تأدت بحركة أخري من الحدود الوسطي إلي المطالب(5) "، هذا ينفي كون الحركة مشتركة بين الفكر والحدس كما يري الرازي وللحدس عند الطوسي الطوسي والرازي مراتب في الوصول إلي المطلوب، بحسب الكيف والكم، أما الكيف: فلسرعة التأدية وبطئها، والكم : فلكثرة عددها وقلته.

ولهذا فهما يرا أن الحدس إلهام العقل الفعال، ويشمل الإنتقال من القوة إلي الفعل علي شكل وثبة عقلية سريعة ومن غير عناء، حسب رتبته، وهو لايحتاج فيه الإنسان إلي كثير من العناء لكي يتصل بالعقل الفعال بل يعرف كل شئ حدساً(6).

والطوسي مع اعترافه بالحدس إلا أنه يري أن الحدس لا يلغي النظر، ولهذا هاجم الرازي فيما ذهب إليه من المعرفة التي تتم عن طريق الإلهام أو الباطن أو عن طريق الإمام المعصوم تلغي النظر بأن هذه الفئة من أصحاب الإلهام والحدس، لا ينكرون النظر العقلي بل إنهم يعتمدون علي النظر في الاعتقاد بالحدس أو الإلهام فهم: " يشبهون النظر بنظر العين وقول الإمام بالضوء الخارجي، ويقولون لما لا يتم الإبصار إلا بهما فلا تحصل المعرفة

([1]) الطوسي: شرح الاشارات، دنيا ق2،ص393.

([2]) ابن سينا :الاشارات دنيا ق2،ص393.

([3]) الطوسي: شرح الاشارات، دنيا ق2،ص393.

([4]) المرجع السابق ص 394.

([5]) الطوسي: شرح الاشارات، دنيا ق2،ص393.

([6]) عمر الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص 149.

إلا بمجموعها ولفظة التعليم دالة علي مجموعها(1) " أي النظر والإلهام أو الحدس هذا عن المعرفة الآتية عن طريق الإمام المعصوم وعند أصحابه من الشيعة أما عن الإلهام فيري أنه: " لوثبت وقوعه لما أمن صاحبه أنه من الله أو من غيره إلا بعد النظر وإن لم يقدر علي العبارة عنه وأما تصفية الباطن فإن أهل التصوف مجمعون علي أنها لا تفيد إلا بعد طمأنينة النفس في المعرفة سواء حصلت من يقين أو تقليد وأما زوال الإعتقاد بوقوع الشك في بعض المقدمات فذلك إنما يمكن لغير المتيقنين كالمقلدين ومن يجري مجراهم، وذلك أن اليقين لا يمكن أن يزول.(2)" وهذا النص دليل أكيد علي ضرورة دخول العقل واستخدامه في عملية الإدراك عن طريق الحدس أو الإلهام لأنه يري كما فهمنا من كلامه أن الإلهام لوثبت وجوده أو وقوعه علي الإنسان لم يتأكد صاحبه من أن هذا الإلهام من الله أو من غيره إلا إذا عقل الأمر وفي هذه الحالة لابد من استخدام العقل للتأكد من حدوث المعرفة أو الإلهام الذي يصل إلي الإنسان كما يدل هذا النص علي أن الإلهام من عند الله.وفي إشارة الطوسي إلي ضرورة استخدام العقل في التيقين من عملية الإلهام أو الوصول أو في المعرفة التي مصدرها الإمام المعصوم بالذات، تعد مخالفة من الطوسي للشيعة الذي يناصرهم فهم يرون أن معرفة الإمام تغني عن العقل، ولهذا فهم يقللون من شأن العقل لهذا السبب، ولكن الطوسي كان صاحب مبدأ فعلي الرغم من تشيعه إلا أنه خالفهم فيما يستحق المخالفة.

هذا عن مصادر المعرفة الثلاث الحس والعقل – والإلهام أو الحدس ورأينا كيف أدخل الطوسي العقل مع كل منهما سواء في المعرفة التي مصدرها الحس، فالعقل هو الحكم فيها، والمعرفة العقلية هي المدرك والحكم، أما الإلهام فهو المشعر أو المتيقن بأن هناك إلهاماً ولهذا فهو يري اتساع مجال العقل في المعرفة الإنسانية، فهو يطلق علي القوة الداركة من قوي النفس الإنسانية، وعلي الموجود المجرد، وكذلك المادي من حيث الحكم عليه.

المصدر الرابع الكتاب والسنة.

كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم تعد أولي مصادر المعرفة الإنسانية عند كل مسلم ولا غني عنهما لكل طالب علم سواء العلم الدنيوي أو الأخروى، فهو دستور العلم والعلماء ولو بحثنا فيه وفتشنا جيداً نجد فيه قانون كل علم من علوم الحياة والآخرة، فيه أنزل الله مناهج البحث في العلوم كلها، وفيه بث أسرار أجل العلوم، ولو تأمل الإنسان أياته ووعاها بتدبر وحكمة استغني عن كثير من علوم البشر ولهذا يؤكد نصير الدين الطوسي علي من يريد تحصيل العلوم ب" قراءة القرآن(3)"وقال أيضاً:" ليس شئ أزيد للحفظ من قراءة القرآن لاسيما آية الكرسي(4)" الكرسي(4)" كما أنه أشار إلي أن العالم لا ينبغي عليه أن يشغل نفسه بغير العلم بشئ:" ولا يعرض عن الفقه والتفسير والحديث وعلم القرآن(5)"، لأنهم في نظره هم الوسائل المعينة علي تحصيل العلوم، وذكر الفقه لأن فيه معرفة الأحكام فإذا عرفها العالم بعد عما لا يرضي الله وعمل بما يرضيه، والتفسير حتي يعرض معاني ومدلول الآيات

([1]) تلخيص المحصل ص 46.

([2]) المرجع السابق ص 46.

([3]) الطوسي: آداب المتعلمين ص 282.

([4]) المرجع السبق ص 280.

([5]) المرجع السابق ص 280.

والتي سترشده في علمه وكذلك الحديث، وعلم القرآن أيضاً ،وهذا الذي ذهب إليه نصير الدين الطوسي هو حال كثير من فلاسفة وعلماء المسلمين فابن سينا وابن تيمية يذكرعنهما أنهما عندما كانا يملان التحصيل في العلوم الأخري كانوا يستعينون بالقرآن علي هذا الملل، الذي دائماً ما يكون سببه صعوبة التحصيل وأغلب علماء المسلمين بنوا نظرياتهم علي ماتعلموه من القرآن.

ومما يدل علي اعتماد نصير الدين في تحصيل علومه المختلفة علي القرآن الكريم ويعتبرها مصدره الأول وليس الثاني، أنه في غالبية مؤلفاته كان يفتتح أي موضوع من موضوعات كتبه، بما يدل عليه من الآيات الكريمة ثم الأحاديث النبوية، فمثلاً لو تحدث عن علوم الفلك كان يذكر في كتبه من الآيات ما يدل علي هذا الموضوع وهذه القضية وكذلك في الأخلاق: فله فيها مؤلفان هما:" أخلاق ناصري"، وأخلاق محتشمي " وكل مؤلف مقسم إلي حوالي أربعين فصلا وكل فصل لموضوع وكان يبدأ كل موضوع بآيات من كتاب الله والأحاديث النبوية التي تدل علي صحة رأيه والتي تدل علي أن مصدر علمه ليس من عنده ولكنه من عند الله، ونفس الأمر في كتابه " أخلاق محتمشي " والذي إذا اطلع عليه أحد لا يشك بأن مصدر هذه المعلومات والقضايا هو من الكتاب والسنة، وأنها واجبة التحصيل أو البعد عنها إذا كانت قضايا يدعو للابتعاد عنها. وليس هذان المؤلفان فقط فهناك " أوصاف الأشراف " الذي عول فيه الطوسي كاملا علي ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه وكان الطوسي لم يدلل بما يراه عقله أو بما جاء علي لسان العلماء إلا بعد الاعتماد علي الخبر المنزل. ونفس الاعتماد كان عنده في موضوعات العقيدة كان دائماً يستدل برده علي المعارضين بالأدلة القرآنية، وكان يري أنها لا يأتيها الباطل أبداً، ونشير هنا إلي أن الخطأ الذي وقع فيه الطوسي في مسائل العقيدة أحياناً لم يكن ناتجاً من الدليل القرآني ولكنه كان ناتجاً من تفسيره للأدلة القرآنية وتحليله لها وهذا نتيجة قصور في العقل وقد أشار الطوسي لمثل هذه الأمور عندما رد علي من يدعي أن الناس تختلف في أحكامها وأرائها فأرجع السبب في ذلك إلي مفهوم الإنسان وتحليله العقلي.

وهناك من العلوم لا غني فيها من الاعتماد علي القرآن والسنة مثل العلوم الخاصة بالبحث في الإلهيات من البراهين علي وجود الله ووحدانيته، والنبوة وغيرها ولهذا وجدنا الطوسي قد علل استخدام الإمام الرازي للدليل العقلي في استدلاله علي وحدانية الله، في قوله إننا لو قدرنا وجود إلهين لكان كل واحد منهما يريد شيئاً علي خلاف الآخر وهذا محال للأسباب التي ذكرها الرازي في الدليل وكان تعليق الطوسي وما أخذه عليه بأنه كان :" يمكن أن يتبين هذه المسألة بالسمع لأن صحة السمع غير موقوف علي القول بوحدة الإله(1)"، فمعني كلام الطوسي أنه لا مفر من الاعتماد علي النقل في الاستدلال علي وحدانية الباري، نظراً لقصور العقل عن إدراك بعض الأمور الإلهية، ومما يؤكد أيضاً علي اعتماد الطوسي علي القرآن والسنة مصدراً لمعارفه المختلفة أنه في استدلاله علي وحدانية الله لم يستدل بأكثر مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية لهذا نراه قد ذكر في أدلته قوله تعالي:" وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ(2) "، وقوله تعالي:" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ".

([1]) تلخيص المحصل، ص 194.

([2]) القصص الآية 88.

وهناك من الآيات الكثير مما ذكره للاستدلال علي وحدانية الباري وعلي غيره من الموضوعات المتعددة(1) والطوسي باعترافه بالخبر المنزل والحديث النبوي كمصدر للمعرفة الإنسانية لا يخرج عن مذهب أهل السنة وإن كان قد غالى بعض الشئ في العقل ولكن ليس علي درجة كبيرة مثل المعتزلة، ولكننا يمكننا القول بأنه كان قريباً بعض الشئ من أهل السنة بعيداً أيضاً بعض الشئ عن المعتزلة في موضوع استخدامه للعقل، فأهل السنة لا ينكرون العقل ولكن لا يغالون فيه وعندهم المعرفة:" موجودة وجوداً خارجياً مستقلاً(2) ".وهي عندهم مدونة في نصوص القرآن والأحاديث النبوية وما أجمع عليه المسلمون في قولهم اعتراف بالعقل، والحس أيضاً كمصدرين للمعرفة ولكن لكل منها عندهم مجالاته وسبل تحصيل العلوم عندهم هي :-

حفظ القرآن والسنة النبوية.

سؤال الفقهاء وأهل العلم.

وأفضل المعارف في نظرهم معرفة الله تعالي كما قال ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه.....ومن المقارنة بين أهل السنة والطوسي نجد أن الفرق ليس كبيراً خاصة في الأخذ بالقرآن كمصدر للمعرفة. هذا عن مصادر المعرفة عند الطوسي وأراء ابن سينا والرازي فيها والتي نخلص منها بعد العرض إلي أن الطوسي وابن سينا والرازي أقروا جميعاً بأربعة مصادر للمعرفة هي علي الترتيب من حيث الأفضلية:-

القرآن الكريم والسنة النبوية.

الحدس: أو الالهام أو القلب.

العقل.

الحس.

وهذه المصادر الأربعة ليست منفصلة عن بعضها في عملية الإدراك، بل نجده في بعض المعارف مستخدماً كل المصادر ولكن لكل منها مرحلة أو مهمة في عملية الإدراك كما سنعرض لذلك في كيفية كسب المعرفة. وقد لمسنا أيضاً أن الطوسي لم يفضل مصدراً عن الأخر خاصة بين الحس والعقل فهماً عنده لا غني للأول عن الثاني في الحكم علي الحواس، والحس أيضا شرط لتمام المعرفة المادية. والعقل أساس لمعرفة اليقين في المعرفة الحدسية، وكذلك يستخدم في المعارف التي مصدرها الكتاب والسنة في تعقل بعض الأيات الكريمة.

موقف الطوسي من ابن سينا والرازي أو الفلاسفة والمتكلمين.

نخلص مما سبق أن الطوسي باعتماده علي مصادر المعرفة المتعددة من حس وعقل وخبر منزل لا يختلف مع ابن سينا والرازي اللذين لم يعتمدا في المعرفة علي العقل فقط أو الحس فقط، ويدل علي ذلك ما ذكر عنه أنه قال " وقد يظن أن العقل يحصل فيه صور أشياء عند مباشرة الحس للمحسوسات بلا توسط، وليس الأمر كذلك بل بينهما وسائط وهي أن الحس يباشر المحسوسات فتحصل صورها فيه فيؤديها إلي الحس المشترك، حتي تحصل

([1]) نصير الدين الطوسي: أوصاف الأشراف ص 101-102 وأنظر أيضاً باقي موضوعات الكتاب ولذلك كتاب " أخلاق ناصري، وأخلاق محتشمي.

([2]) الأهواني: معاني الفلسفة ص 129-130.

فيه. فيؤدي الحس المشترك تلك الصور إلي التخيل والتخيل إلي قوة التميز ليعمل التميز فيها تهذبياً وتنقيحاً وتؤديها منقحة إلي العقل(1).هذا عن العقل والحس عند الفلاسفة الإسلاميين أما الحدس ويعنون به " الانتقال من القوة إلي الفعل علي شكل وثبة عقلية سريعة ومن غير عناء(2)" وكما يقول ابن سينا أنه " إلهام العقل الفعال(3) " أما المتكلمون فبعضهم يقول بالعقل كمصدر رئيسي للمعرفة مثل المعتزلة، وعلي الرغم من استخدامهم العقل إلا أنهم لا يسلكون طريق الفلاسفة بأن طريق العقل هو المنطق، بل طريقه النظر إلي المعاني والأشياء فما استحسنه العقل كان حسنا وما استقبحه كان قبيحا كما هو رأي المعتزلة. ومنهم من اعتمد علي العقل مثل الأشاعرة، ويرون أن معرفة الله بالعقل تحصل وبالسمع تجب، والطوسي وإن كان قريباً من المعتزلة في تمجيده للعقل إلا أنه يأتي في المرحلة الثانية بعد الكتاب والسنة كما رأينا.

أما عن موقف الطوسي من ابن سينا والرازي، فهو لا يخالفهما إلا في بعض معاني الألفاظ والتي قام بشرحها سواء لابن سينا والرازي في الإشارات أو للرازي فقط في المحصل، ولكي نتأكد من أنهم لم يختلفوا في القول بالمصادر الأربعة نعرض لأقوال ابن سينا في مصادر المعرفة كما ذكره في كتابه البرهان فقد عد فيه أربعة عشر مبدأ من مبادئ المعرفة هي " المخيلات، المحسوسات، المجربات، المتواترات الأوليات، المقدمات الفطرية، القياسات، الوهميات، المشهودات المطلقة والمحددة، والمسلمات، والمشبهات، المقبولات المشهورات في بادئ الرأي غير المتعصب، المظنونات ظناً(4) " وهذه المبادئ التي تسمي أصولًا أو مصادر للمعرفة عنده – لو قورنت حسب تقسيمات مصادر المعرفة التي ذكرناها نجدها هي نفسها بعد استبعاد المبادئ التي لا تأتي بيقين، فبعضها يستند إلي أساسين الأوليات العقلية، أو المقدمات النظرية، أو المسموعات أو المجربات، وهذه تقابل مصدر العقل والنقل والحدس ولهذا فدرجة يقينها عالية. أما الذي يستند إلي المخيلات أو المتواترات أو المشهورات أو المسلمات أو المشبهات، أو الوهميات، أو المظنونات، أو المقبولات، فهي تقابل الحس ولهذا فهي علي درجة يقين أقل من السابقة ولهذا يقول ابن سينا – بعد أن دعا إلي أن يسلم بهذه المبادئ كل متعلم لكي يبني عليها أموراً أخري فقال".....إن استعمل المقبولات والمشهورات وأمثالها في طلب اليقين مغالطة أو غلط وبلاهة إذ يمكن أن تكون كاذبة، أما الصادقات إذا لم تكن مناسبة للجنس الذي فيه النظر، وكانت خارجية غريبة لا تبين سببا من الجهة التي يمثلها يقع اليقين العلمي، وإن كان يقع بها يقين ما، لأنها لا تدل علي علل ما، إذ العلل المناسبة للشئ إنما تعطي صدق النتيجة فقط لا ضرورة صدقها، ولا كمية صدقها، وليس كل حق مناسبًا وخصوصًا إذا لم يكن ضروريا(5) " وخلاصة رأي ابن سينا أن هناك من المصادر أو

([1]) عمر الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص 138.

([2]) عمر الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص 138.

([3]) عمر الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص 138

([4]) ابن سينا: البرهان، ص 21، نقلا عن تيسير شيخ الأرض مدخل الي فلسفة ابن سينا, دار الأنوار . بيروت .ط1 ,1967م, ص 70.

([5]) ابن سينا: البرهان،ص 95، نقلا عن مدخل الي فلسفة ابن سينا لتيسير شيخ الارض، ص 170-171.

الأصول الأربعة عشر التي ذكرهم مستبعداً نظرا لعدم يقينها، وقد صرح ابن سينا في الإشارات بالحدس والعقل والخبر المنزل، وقد عول الطوسي عليه فيهم.

أما الرازي وموقف الطوسي منه، فنفس الأمر لا خلاف بينهما في الاعتراف بمصادر المعرفة الأربعة. اللهم بعض التعليقات الخفيفة علي تعليقات الرازي علي ابن سينا في الإشارات، وكذلك في المحصل. من أمثلة ذلك عندما ذكر الرازي أن مصادر المعرفة هي الحس والعقل والوجدان في قوله " ظهر لك أن الإنسان لا يمكنه أن يتصور إلا ما أدركه بحسه أو وجده في نظره النفس، كالألم واللذة أو من بديهية العقل كتصور الوجود والوحدة والكثرة، أو ما يركبه العقل أو الخيال من هذه الأقسام. فأما ما عداه فلا يتصور البته...(1) " وقد علق الطوسي علي كلام الرازي بقوله " ما يركبه الخيال كتصور جبل من ياقوت وإنسان يطير، وما يركبه العقل كالحيوان الناطق، أو الموجود الواحد وما يركبانه معا كالسواد الواحد والحرارة الكلية والحدود مما يركبه العقل وأعترف ههنا بتصور المركب الذي يركبه العقل ولا يراد بالتصور المكتسب غير نوع من ذلك فقوله : ههنا من فعل لمذهبه في التصورات(2) " ثم يري الطوسي أن أكثر الأجناس العالية مما لا يدرك بالحس ولا بالوجدان ولا بالبديهية ولا بالتركيب العقلي، فإنها بسائط في العقل(3) " هذا عن موقف الطوسي من ابن سينا وفخر الدين الرازي والذي يتمثل في موافقته لهما فيما أقروه من مصادر المعرفة سواء الحس أو العقل أو الحدس أو الخبر المنزل من كتاب وسنة. والسؤال الآن ما هي كيفية كسب المعارف التي مصدرها كل من الحس والعقل والحدس والخبر المنزل.؟

سادسًا: مراحل كسب المعرفة.

قدم لنا الطوسي كيفية إدراك النفس البشرية للشئ المدرك وهو الوجود الخارجي المستقل عن الذات العارفة. سواء كان هذا الإدراك بالحس أو بالعقل أو بهما معًا أو بالحدس والإلهام، فعنده أن الفطرة البشرية، خلقت عارية من أي معارف أو علوم، ثم بعد ذلك يحصل لها العلم بأنواعه، الضروري منه والمكتسب أو الفعلي، ويعني به الطوسي تحصيل الأشياء الخارجية كعلم واجب الوجود وانفعالي، كعلمنا بالوجود الخارجي المستقل عن الذات. أو بمعني آخر علمنا بواجب الوجود أو ممكن الوجود، ولكي تتم المعرفة بهذه العلوم اشترط الطوسي لتمامها أنه لابد من " الاستعداد إما الضروري بالحواس وإما الكسبي بالأول (4) " وهذا الاستعداد مغاير للنفس. فالنفس تستعد للقبول تدريجيا فتنتقل من أقصي مراتب البعد إلي التمرن علي هذه العملية. بتكرارها مرات فيتم بذلك الاستعداد " لإفاضة العلوم البديهية الكلية من التصورات والتصديقات بين كليات تلك المحسوسات(5) " وهذه العملية تختص بإدراك المحسوسات دون المعقولات. أما العلوم الفطرية " فإنها مستفادة من النفس أو من الله تعالي

([1]) المحصل ص 18.

([2]) تلخيص المحصل ص 18.

([3])م. السابق ص 18.

([4]) الطوسي، تجريد الاعتقاد في كشف المراد ص 248.

([5]) ابن المطهر الحلي: كشف المراد فى شرح قواعد العقائد مخطوط, 1305 . ص 248.

علي اختلاف الأراء لكن بواسطة الاستعداد بالعلوم البديهية(1) " ويقصد هنا بالبديهيات العقلية، والاستعداد عنده في التصورات فهو الحد والرسم وفي التصديقات: القياس القائم علي المقدمات الضرورية، وكل هذا متوقف علي استعداد النفس، والاستعداد هنا إما بالحواس أو بالعقل أو كلاهما هذا عن توقف العلم علي الاستعداد، أما عن كيفية إدراك القوة الباطنية للجزئيات أو بمعني آخر كيفية كسب المعرفة الجزئية فهو يقسم هذه القوة إلي أنواع وكل قسم له مهمة أو دور في كسب المعرفة فمثلا.

القوة الأولى: بنطاسيا الحاكمة بين المحسوسات، أو الحس المشترك، وتقوم بإدراك الصور الجزئية التي تجمع عنده مثل المحسوسات(2).

القوة الثانية: الخيال وهي خزانة الحس المشترك وسميت خيالًا لمغايرة القابل للحافظ ويسميها الطوسي " خيالًا ومصورة(3) ".

القوة الثالثة: وهي الوهم ومدرك المعاني الجزئية، وهي مغايرة للنفس الناطقة وهي كما قال الطوسي "مدركة المعاني(4)" مقابل الحس المشترك المدرك للصور المحسوسة.

القوة الرابعة "الحافظة" وهي خزانة الوهم، وتسمي المذكرة لقوتها علي استعادة الغيبيات(5).

القوة الخامسة : المتخيلة المركبة للصور والمعاني بعضها مع بعض(6)، ويشترك فيها الحس مع العقل، ولهذا ولهذا قال بأنها مركبة من الصور التي يدركها الحس والمعاني ألتي يدركها العقل.

وهذه القوي قال بها ابن سينا في الإشارات، وشرحها الطوسي له ثم ذكرها في كتابه تجريد الاعتقاد. وقد اعترض الرازي علي أقوال ابن سينا في هذه القوي، ونقده الطوسي ودارت المحاورة بينهما فالرازي يعترض علي ما تضمنه كلام ابن سينا من أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، فقال " واستدلوا علي مغايرة الخيال للحس المشترك من وجهين أحدهما أن المدرك قابل، والقابل يغاير الحافظ، والحجة: هي أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، والمثال هو أن الماء يقبل الأشكال ولا يحفظها والحجة ضعيفة(7) " وكان رد الطوسي عليه بأن قال إن " اجتماع القبول والحفظ في شئ واحد لايدل علي وحدة مصدرها، فإنهم يجوزون اجتماعهما في شئ واحد لقوتين فيه كالأرض، وأما افتراقها في صورة فيدل علي مغايرة المصدرين....(8) " وعلي الرغم من معارضة الطوسي للرازي فيما ذهب إليه إلا أنه

([1]) كشف المراد، ص 248.

([2]) تجريد الاعتقاد من كشف المراد ص 211.

([3]) شرح الاشارات للطوسي، ق2 ص 374.

([4]) م. السابق ص 374.

([5]) كشف المراد ص 213.

([6]) تجريد الاعتقاد في كشف المراد ص 214، وانظر أيضا شرح الاشارات للطوسي ق2 ص 374.

([7]) شرح الاشارات للطوسي، ق2 ص 375.

([8]) م. السابق ص 376.

أنه متفق معه ضد ابن سينا في أن الواحد يصدر عنه الكثرة عكس ما ذهب ابن سينا من أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد. وإن كان الطوسي حاول تبرير موقف ابن سينا كعادته في كثير من القضايا.

وخلاصة ما ذهب إليه الطوسي وشيخه من القوة الباطنية المدركة للحواس أن الإدراكات الحسية تتأدي للنفس بواسطة الأرواح التي في الأعصاب وهذه توجد في مقدمة الدماغ، فالحس المشترك كرأسي عين تتشعب منه ستة أنهار والتأدية كما يقول الطوسي هنا، " استعادة عن إدراك النفس بواسطة الروح المصبوب إلي كل حس محسوسة، وبواسطة الروح الذي هو مبدأ مشترك للجميع مثل جميع المحسوسات(1) " هذا عن كيفية إدراك الحس للجزئيات، ونلاحظ هنا أن الطوسي وابن سينا وكذلك الرازي الحس عندهم ما هو إلا مجرد إدراك فقط بدون حكم سواء بالصدق أو بالكذب، وسبق ذكرنا لموقف الطوسي من هذا، ورأيه في أن الحس ليس بحاكم والحكم للعقل، ولابد من تدخل العقل لإتمام عملية التصديق أو الحكم علي الأشياء ولهذا يكون الحس دوره في إدراك المحسوسات أو تصورها والعقل هو الحكم والمصدق.

أما عن كيفية كسب المعارف عن طريق العقل: فأخذ الطوسي عن شيخه ابن سينا رأيه بأن للنفس الناطقة، أو ما يسمي بالنفس العاقلة قوي مدركة وهذه القوي متنوعة وهي :-

العقل الهيولاني، وهذه القوي تنقل لنا جميع الصور المستعدة لقبولها النفس الناطقة – مثال كون الطفل عنده استعداداً للكتابة وتعد بالمرتبة الاولي.

العقل بالملكة: ويعد المرتبة المتوسطة وهذه القوي هي ما يكون عند حصول المعقولات الأولي، ومراتب الناس فيها مختلفة لأنها تحصل عندهم بالفكر أحياناً وبالحدس أحياناً أخرى. أم التي تحصل بالعقل أو بالملكة أو بالعقل الهيولاني – أي حضور للمعقولات تكون قد أصبحت قوة النفس في كمالها، وعند هذا تسمي القوة الأخيرة بالعقل المستفاد، وفيه تحصل جميع العلوم وتنقل من القوة إلي الفعل. وهذا التحصيل كما قلنا إما بالفكر عن طريق العقل أو بالحدس عن طريق الشوق إلي المعقولات أما الحدس فعن طريق الظفر من غير حركة. ولكن مع شوق أو لا مع شوق وهؤلاء أصحاب الحدس(2). وهذا الأخير خاص بالأولياء والأنبياء ولم يحدث للعامة من الناس، وقد ضرب الطوسي وابن سينا مثلا من كتاب الله للدلالة علي كيفية حدوث الألهية فذكر قوله تعالي " اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) " شبه هنا الطوسي المشكاة بالعقل الهيولاني لكونها مظلمة في ذاتها قابلة للنور والزجاجة " بالعقل بالملكة " لأنها شفافة قابلة للنور والشجرة الزيتونة " بالفلك لكونها مستعدة لأن تصير قابلة للنور والزيت " بالحدس " لكونه أقرب إلي ذلك من الزيتونة والتي يضاء زيتها بالقوة " القوة القدسية " وهذا هو الدليل علي أن مصدر المعرفة الإلهية هو الباري تعالي. ونور علي نور بالعقل المستفاد، والمصباح " بالعقل بالفعل " والنار "بالعقل

([1]) الطوسي: شرح الاشارات ج2 ص 381.

([2]) الطوسى: شرح الاشارات، ج2، ص 388–389.

([3]) سورة النور الآية 35.

الفعال" لأن المصابيح تشتعل منها(1).هذا وقد درات مناقشات حول هذه القوة وكيفية الإدراك بين كل من الرازي وابن سينا وبين الطوسي والرازي(2).

سابعًا: حدود المعرفة.

للمعرفة الإنسانية حدود تقف عندها، فالإنسان مهما وصل بحسه وعقله إلي أعلي الدرجات لا يستطيع أن يصل إلي ما في هذا الكون من أمور تخفي علي البشر لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالي، والمتتبع لتاريخ الفكر البشري خاصة في نظرية المعرفة علي مدى العصور يجد أن هناك اختلافاً كبيراً حول حدود المعرفة فلو نظرنا إلي أصحاب المذهب العقلي نجدهم يرون أن ليس للعقل حدود في المعرفة فهو يستطيع أن يخوض في كل الأمور ويصل إلي اليقين في كل القضايا. وعلي العكس من هؤلاء نجد أصحاب المذهب الحسي يرون أن الحس والتجربة ليس لهما حدود في المعرفة بالتجربة والحس وبهما يمكنا أن نصل إلي ما نريد من معارف. وليس لها حد تقف عنده، وعلي النقيض من هؤلاء وهؤلاء، نجد الشكاكين يرون استحالة أن يعرف الناس معرفة يقينية عن حقيقة العالم الذي يعيش فيه، أما النقديون والوضعيون يرون أن للمعرفة الإنسانية حدوداً الذي يعيش فيه، أما النقديون والوضعيون يرون أن للمعرفة الإنسانية حدوداً تقف عندها الخبرة الإنسانية(3) . والمعرفة اليقينية للعالم الخارجي ممكنة لكن علي شرط ألا تتجاوز حدود وظواهر الأشياء التي تتلقاها حواسنا فإذا حاول الإنسان أن يعرف الشئ في ذاته كما هو في العالم الخارجي فهذه محاولة فاشلة لأنه لايمكن للعقل أن يتجاوز الظواهر الحسية لتلك الأشياء.

أما عن موقف صاحبنا نصير الدين الطوسي، فهو علي النقيض من كل هذه المذاهب سواء المغالية لحدود العقل أو لحدود الحس أو للشكاك، لأنه لم يقل بمذهب من هذه المذاهب، بل قال بتعدد مصادر المعرفة ومن يقل بتعددها فلابد وأن يرفض المذهب المغالي، والذي يري أصحابه أن مصدرهم هو الذي ليس له حدود في الوصول إلي عمق المعارف، فالمصادر التي قال بها الطوسي كل منها له حدود يقف عندها ولا يستطيع أن يتعداها فمثلا الحس: حدوده إدراك الأمور المادية فقط وبدون حكم بالصدق أو بالكذب فهو " إدراك الشئ الموجود في المادة الحاضرة عند المدرك علي هيئات مخصوصة به محسوسة من الأين والمتي والوضع....(4) " أما العقل عنده فحدوده جميع المعقولات مع الحكم علي المحسوسات، ولا يستطيع أن يخوض في أسرار الكون والخالق وإذا خاض لن يصل إلي كل اسراره لأن هناك ما هو خاص بالأنبياء والأولياء، ولهذا نجده هاجم المغالين في إمكانية العقل.

ثامنًا: درجات اليقين.

يعرف الطوسي اليقين بأنه " الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الثابت غير ممكن الزوال وهو الحقيقة مؤلف من العلم بالمعلوم والعلم بأن خلافه محال(5) " والاعتقاد عنده بمعني التصديق وقد يقال علي التصور وعلي

([1]) شرح الاشارات، للطوسي، ق2، ص 390-391.

([2]) م. السابق ص 392-393.

([3]) زكي نجيب محمود، نظرية المعرفة، ص 118.

([4]) شرح الاشارات للطوسي، ق 2 ص 367.

([5]) أوصاف الاشراف للطوسي، ص 88.

التصديق معاً، وهو من الأمور الضرورية، وهو أعم من العلم لأنه شامل للظن والجهل. والعكس جائز أي يكون العلم أعم من الاعتقاد أو أخص منه ولهذا يقول عن الاعتقاد " فيتعاكسان في العموم والخصوص(1) " وهو مغاير للظن لأن الظن هو " ترجيح أحد الطرفين وهو غير اعتقاد الرجحان(2) " كما أنه علي النقيض من الشك لأن الشك هو " تردد الذهن بين الطرفين(3) " أى بمعني سلب الاعتقاد. وهذا التعريف للشك مخالف لتعريف ابن سينا له بأنه " معني يضاد العلم(4) " وخلاصة القول أن اليقين هو اعتقاد جازم، وله ثلاث مراتب استقاها الطوسي من القرآن الكريم وهو علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين واستشهد الطوسي علي هذه المراتب بكتاب الله في قوله تعالي " كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (5) "وقوله "وقوله تعالي " وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (6) " ويشبه الطوسي علم اليقين: بمشاهدة الموجودات بواسطة نورها. وعين اليقين: بمعاني جرم هذه النار المفيض علي ما يقابلها بالاضاءة وحق اليقين: بتأثير النار في كل ما يصل اليها حيث تنعدم هويته وتبقي النار. هذا عن درجات اليقين وتختص بما أنزله الله سبحانه وتعالي، وكذلك الإلهام الذي يفيض منه علي أوليائه ورسله أما المصادر الأخري من حس وعقل فله رأي فيها.فالحس عنده ليس له حكم لأنه " إدراك ما له لون فقط(7) " والحكم عبارة عن " تأليف مدركات بالحس أو بغير الحس(8) " فالحكم والذي والذي هو من خصائص العقل هو تأليف بين مدركات الحس أما عن اليقين في الأمور الحسية فهو " حكم ثاني علي الحكم الأول(9) " والحس لا حكم له ولهذا لا يمكن أن " يوصف من حيث كونه محسوساً يقينياً أو غير يقيني أو حقاً حقاً أو باطلاً أو صواباً أو غلطاً فان جميع هذه الأوصاف من لواحق الأحكام(10) " والحس لا حكم له، لهذا لا يكون للحس عند الطوسي يقيناً. " إلا أن يكون المراد من حكم الحس حكم العقل علي المحسوسات." ولهذا فإذا حدث غلط أو صواب إنما هو من العقل، ما دام هو الحكم وهذا يدل علي أن العقل هو الذي له يقين في حكمه علي الحواس وفي حكمه علي الأمور البديهية أيضاً أو الأولية ومما يدل علي رأي الطوسي في هذا أنه عارض القادحين في يقين العقل، وأرجع أي خطأ يقع في المعرفة البديهية التي مصدرها العقل إلي قصور في أفهام الناس وليس في العقل نفسه ولهذا قال: إن " قصور أفهام بعض الناس عن التميز بين الحق والباطل، واعتمادهم علي ما يتقلدونه من أبائهم وأساتذتهم بموجب حسن ظنهم فيهم ليس بقادح في الأوليات، وأيضاً التشكيك في النظريات ليست تعارض

([1]) تجريد الاعتقاد في كشف المراد ص252.

([2]) م. السابق ص 255.

([3]) م. السابق ص 254.

([4]) كشف المراد من تجريد الاعتقاد ص 254.

([5]) سورة التكاثر الآية 5-7.

([6]) سورة الواقعة الآية 94-95

([7]) تحصيل المحصل ص 42.

([8]) م. السابق ص 20.

([9]) م. السابق ص 20.

([10]) م. السابق ص 20.

الدليلين أو النقل من مذهب إلي مذهب بسبب ترجح أحد دليلين متعارضين لا يقدح في النظريات وصناعة لا سيما صناعة سوسطيقا منه إنما بين لإرشاد العقلاء إلي طريق الحق ومجانبة ما يقتضي الضلال في العقائد والمباحث النظرية(1) " ومعني هذا أن الطوسي يري أن يقين البديهيات القائمة علي العقل يقين ثابت لا يتغير ولكن التغير الذي الذي يطرأ علي المعارف البديهية ويدعو إلي الشك إنما هو ناتج من قصور في أفهام الناس من التمييز بين الحق والباطل. هذا عن مفهوم المعرفة والعلم والادراك، وطبيعتها وحدودها ومصادرها وموضوعاتها وكيفية كسب المعارف المختلفة، عند الطوسي وموقفه من أقوال ابن سينا والرازي فيما يخص هذه الموضوعات والتي درات بينهم مناقشات حولها. بقي نقطة وهي ما هو موقف الطوسي من معرفة الله سبحانه وتعالي.؟

تاسعًا: موقف الطوسي من معرفة الله سبحانه وتعالي.

معرفة الباري تعالي أثارت جدلًا فلسفياً كبيراً بين المتكلمين والفلاسفة وبين أهل السنة، ونقل هذا الخلاف بين الرازي والطوسي لدرجة أن الرازي اعتبر أن الذي يقول بأن معرفة الباري في حاجة لمعلم أو مرشد ملاحدة، ويدلل علي صحة رأيه بأن " العالم ممكن وكل ممكن فله مؤثر. علمنا أن العالم مؤثر سواء كان هناك معلم أم لا(2) " وهذا ليس في حاجة إلي معلم أو مرشد لأن الاستدلال علي وجود الله من وجهه نظر الرازي واضح وظاهر كعلمنا بأن العالم له مؤثر وهذا المؤثر بالضرورة من أنه هو الله. هكذا معرفتنا بالله سبحانه وتعالي، ولكن الطوسي خالف الرازي في هذا ويري أن معرفة الله في حاجة إلي معلم أو مرشد، وهم الأنبياء والرسل وما وجدوا إلا ليعلمونا طريق الباري تعالي، ولهذا يقول الطوسي في رده علي الرازي " إن التعليم في المعقولات ليس بضروري مع أنه إعانة وهداية وحث علي استعمال العقل، وفي المنقولات ضروري(3) " فالطوسي يري أن التعليم والحاجة إلي معلم في الأمور الأمور التي تعتمد علي العقل ليس بضروري، ويحتج الطوسي علي صحة رأيه بوجود الأنبياء وأنهم ما جاءوا " لتعليم الصنف الأول وحده بل وللصنف الثاني، فإن العقل لا يتطرق إلي ما يرشدون إليه لأنهم ما يدعون أن إمامهم يعلمهم علماً إنما يدعون أن متابعته والاعتراف بإماميته إذا صار مضافاً إلي المعارف العقلية وغيرها حصل النجاه وإلا فلا...(4) " وفكرة الطوسي هذه في حاجة الإنسان إلي معلم لمعرفة الله فكرة مأخوذة من المذهب الشيعي فهم الذين يقولون بضرورة الإمام المعصوم لكي يعلمنا أمور ديننا ويهدينا إلي طريق معرفة الله. وبدون الإمام المعصوم تضل البشرية. لكن الجمهور والمعتزلة والرازي يعتبرون أن الذي يقول بحاجة البشرية إلي معلم أو مرشد وإن سمي إماماً لمعرفة الباري فهو ملحد. هذا عن المعرفة مفهومها، وموضوعها، وطبيعتها ومصادرها وحدودها عند الطوسي ومواقفه من أراء ابن سينا والرازي، ورأينا كيف كان الطوسي ناقداً في نفس الوقت ومع كل واحد منها.

تعقيب:-

([1]) تلخيص المحصل ص 38.

([2]) المحصل ص 43.

([3]) تلخيص المحصل ص 44.

([4]) تلخيص المحصل ص 44.

الآن وبعد أن انتهينا من البحث من طبيعة ومصادر وحدود المعرفة لدي الطوسي نلاحظ عدة ملاحظات علي الطوسي فهو علي الرغم من أنه لم يخصص مبحثاً عنده في نظرية المعرفة فإنه بذل الباحث جهداً كبيراً في استخلاص المعلومات اللازمة والتي تفيدنا في بيان موقف الطوسي من طبيعة المعرفة ومصادرها وحدودها ودرجة اليقين . إلا أننا نجده قد التزم بمقاييس وشروط المعرفة والمنهج الإسلامي الذي ينبغي أن تكون عليه نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي. ومن هذه المقاييس:-

أنه التزم بتنوع مصادر المعرفة ومنابعها ووسائل تحصيلها من حدسية وعقلية. كما لاحظنا عليه أنه ربط بين طبيعة المعرفة وطبيعة المصدر الذي استمد منه المعرفة مثال الحس عنده هو مصدر المعارف الحسية، والعقل مصدر المعارف العقلية، والحدس مصدر المعارف للأمور الغيبية أو المتعلقة بالأمور الميتافيزقية.

نلاحظ أن الطوسي كان متمسكاً بأحكامه مع عدم التخلي عن أفكاره السابقة سواء كانت الشيعية أو الأفكار المنقولة عن ابن سينا، وكان يتوخي الموضوعية علي قدر الإمكان. ويدل علي ذلك أنه كان يستشهد لأرائه بأيات الذكر الحكيم. كما كان ذا أصالة إسلامية.

الطوسي كفيلسوف مطلع فقد طالع معظم كتب اليونان وغيرها من كتب فلاسفة الإسلام الا أنه كان قليل التقليد والتبعية مثال ذلك أنه علي الرغم من أنه كان من أكبر مناصرى ابن سينا فإنه كان يخالفه فيما يرى أنه يستحق المعارضة.

قد استفاد الطوسي من معارفة وعلومه خاصة في مجال الأخلاق فكان فيلسوفاً أخلاقياً من الطراز الأول عملي ونظري.

إحاطة الطوسي الشاملة بكل موضوعات المعرفة أو الموضوع المراد معرفته.

من أهم مقومات المعرفة عنده هو الإيمان بأن هناك وجوداً خارجياً مستقلاً عن الذات وهذا مما اعترف به الطوسي وأمن بإمكان إدراك هذا الوجود والوقوف علي حقيقته.

تعد أعلي المعارف عند الطوسي هي معرفة الله سبحاته وتعالي وهذا من أهم ما تمتاز به المعارف في الفلسفة الإسلامية.

أن الطوسي كان يحصل معارفة في إطار العقيدة الإسلامية وفي إطار ما يخص مصادر المعرفة والأحكام والقيم التي رسمها لنا الإسلام ولهذا كان دائم الاستشهاد بالقرآن في معظم مؤلفاته. اللهم إلا بعض الشطحات خاصة فيما يتعلق بموضوع الإمامة والقول بالإمام المعصوم.

كان الطوسي يحترم جميع مصادر المعرفة الحسية أو العقلية أو الحدسية، أوالقرآنية. ولا يفرق بينهم ولا يتحيز لمصدر منها دون غيرها من المصادر وهذا من أهم خصائص المعرفة الإسلامية.

المصادر المصادر والمراجع

أولا: مؤلفات نصير الدين الطوسى

أخلاق محتشمى ، تحقيق على مقلد ، الطبعة الأولى الدار العالمية للطباعة والنشر، لبنان ، 1981م.

أخلاق ناصرى " تزكية الأرواح عن موانع الفلاح " مخطوط دار الكتب المصرية رقم 3060و.

أداب المتعلمين ، تحقيق د. يحيى الخشاب ، مجلة معهد المخطوطات مجلد 3 ، 1957م.

أوصاف الأشراف ترجمة محمد الخليلى ، مطبعة النجف ، 1375هـ / 1956.

تجريد الاعتقاد ، مخطوط مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، بالرياض – السعودية.

تجريد الاعتقاد ، شرح العلامة الحلى ، طبعة مؤسسة الأعلمى ، بيروت ، 1979م.

تجريد الإعتقاد ، شرح العلامة الحلى ، طبعة مكتبة المحمدى برقم 1372هـ

شرح الإشارات والتنبيهات لإبن سينا ، طبعة عمر حسين الخشاب ، 1325هـ .

شرح الإشارات والتنبيهات لإبن سينا ، طبعة د. سليمان دنيا دار المعارف 1950م،

تلخيص محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازى ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد – مكتبة الكليات الأزهرية – بدون تاريخ.

قواعد العقائد ، شرح العلامة الحلى ، طبعة الأحقر محمد الحسينى 1305هـ

ثانيا: المراجع

ابن سينا " أبو على الحسن بن عبد الله " الإشارات والتنبيهات ، تحقيق د. سليمان دنيا ط1 دار المعارف – القاهرة – 1960.

ابن سينا " أبو على الحسن عبد الله " الإشارات والتنبيهات ، د. دنيا ، ط2، دار المعارف القاهرة 1968.

ابن سينا " أبو على الحسن عبد الله " الإشارات والتنبيهات ، دنيا ، ط3 ، دار المعارف القاهرة – الطبعة الثانية ، 1960.

ابن سينا " أبو على الحسن بن عبد الله " الشفاء ، تحقيق جورج قفواتى ، وسعيد زايد، الهيئة العربية للكتاب 1975م.

ابن المطهر الحلى " جمال الدين الحسن بن يوسف " كشف المراد فى شرح تجريد الإعتقاد . مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، طبعة أولى 1979م.

ابن المطهر الحلى " جمال الدين الحسن بن يوسف " كشف الفوائد فى شرح قواعد العقائد – مخطوط ، سنة 1305هـ .

أحمد فؤاد الأهوانى / دكتور: معانى الفلسفة ، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى ، 1366هـ / 1947م.

الصاوى الصاوى أحمد: النزعة النقدية عند أبى حيان التوحيدى – رسالة ماجستير لم تنشر – كلية البنات – جامعة عين شمس 1989م.

تيسير شيخ الأرض: المدخل إلى فلسفة ابن سينا ، دار الأنوار، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1967م.

زكى نجيب محمود / دكتور : نظرية المعرفة – مكتبة الأنجلو المصرية – 1969م.

سليمان دنيا / دكتور: مقدمة الإشارات والتنبيهات لابن سينا ، دار المعارف 1960م.

سليمان دنيا / دكتور: مقال عن المعرفة ، مطبعة مصر ، 1955م.

على سامى النشار / دكتور: مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، ونقد المسلمين المنطق الأرسطوطاليس دار الفكر العربي – الطبعة الأولى 1367هـ / 1974م.

عمر محمد التومى الشيبانى: مقدمة فى الفلسفة الإسلامية – الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1395هـ / 1975م.

فخر الدين الرازى " الإمام " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية .

فخر الدين الرازى " الإمام " شرح الإشارات والتنبيهات لأبن سينا طبعة دنيا ، دار المعارف ، 1950م ، 1960م ، 1968م.

محمد كامل حسين / دكتور: وحده المعرفة – مكتبة النهضة المصرية – بدون تاريخ.

محمود قاسم / دكتور: نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الاكوينى ، مكتبة الانجلو المصرية ، بدون تاريخ.

مصطفى الخشاب / دكتور: نظرية المعرفة الانسانية عند المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع ، مطبعة لجنة البيان الطبعة الأولى 1952م.

يحى الخشاب / دكتور: مقدمه كتاب آداب المتعلمين للطوسى ، مجلة معهد المخطوطات مجلد 3، 1957م.